أخبار فريدة

قال أبو الفرج :

الكبرى والصغرى

هما اثنتان لهما صَنعة : إحداهما ، وهى الكُبرى ، وكانت مولَّدة ، نشأت بالحجاز ثم وقعت إلى آل الرَّبيع فعُلِّمت الغناء فى دُورهم ، ثم صارت إلى البرامكة ، ثم إلى الأمين بن زُبيدة ، وماتت بعده .

وأمّا الأُخرى فكانت للواثق ، ثم صارت إلى أخيه المتوكّل . وكانت من المَوْصوفات المُحْسنات ، وكانت حَسنةَ الوجه ، حادّة الفِطنة والفَهم .

حديث ابن الحارث عن قصتها مع الواثق وغيرته من المتوكل

وحكى محمدُ بن الحارث قال :

كانت لى نوبةٌ فى خِدمة الواثق فى كُل جُمعة ، إذا حضرتْ ركبتُ إلى الدار ، فإن نَشط إلى الشَّراب أقمتُ عنده ، وإن لم يَنْشط انصرفتُ . وكان رَسْمنا ألا يحضُر أحدٌ منّا إلّا فى يوم نَوبته . فإنى لفى منزلى فى غير نَوبتى ، وإذا بُرسل الخليفة قد هَجموا علىّ وقالوا : احضُر . فقلتُ : أَلخيْر؟ قالوا : خَير . قلتُ : إنّ هذا يومٌ لم يُحضرنى فيه أميرُ المؤمنين ، ولعلكم غَلِطْتم . فقالوا : الله المُستعان . قُم[1] وبادر ، فقد أُمرنا ألّا نَدَعَك تَستقرّ على الأرض . فدَخلنى فَزع شديدٌ ، وخِفْت أن يكون ساعٍ قد سَعى بى ، أو بليّةٌ قد حدثت فى رأى الخليفة علىّ . فتقدمتُ بما أردتُ وركبتُ حتى وافيتُ الدار ، فذهبتُ لأدخل على رَسْمى من حيث كنتُ أدخل ، فمُنعتُ وأَخذ بيدى الخدمُ فعَدلوا بى إلى ممرّاتٍ لا أعرفها ، فزاد ذلك فى جَزعى وغمّى . ثم لم يَزل الخَدم يُسْلمونى من خادم إلى خادم حتى

(١) فى بعض الأصول : « لا تطل » .

أفضيتُ إلى دار مفروشة الصَّحن ، مُلْبسة الحِيطان بالوَشى المَنسوج بالذَّهب ، ثم أفضيتُ إلى رِواقٍ أرضُه وحيطانُه مُلْبسة بمثل ذلك ، وإذا الواثقُ فى صدره على سَريرٍ مُرصَّع بالجوهر ، وعليه ثيابٌ مَنْسوجة بالذَّهب، وإلى جانبه فريدةُ جاريته عليها مثلُ ثيابه ، فى حجرها عُود . فلما رآنى قال : جَوَّدتَ[1] والله يا محمد إلينا ! فقبّلتُ الأرضَ ثم قلتُ : يا أمير المُؤمنين ، خيراً ، قال : خيراً ، أما ترانا ! طلبتُ والله ثالثاً يُؤنسنا فلم أر أحقَّ بذلك منك ، فبحياتى بادِرْ فكُلْ شيئاً وبادرْ إلينا . فقلت : قد والله يا أمير المُؤمنين أكلتُ وشربتُ أيضاً . قال : اُجلس . فجلستُ . وقال : هاتُوا لمحمّد رِطلاً فى قَدح . فأُحضرتُ ذلك . ثم اُندفعتْ فريدةُ تُغنى :

أهابُكِ إجلالاً وما بك قُدرةٌ ... علىّ ولكنْ مِلءُ نفسٍ[2] حَبيبُها
وما هجرتْكِ النَّفسُ يا ليلَ أنّها ... قَلَتْك ولا أن قَلّ منك نَصيبُها
ولكنّهم يا أحسنَ الناس أُولعوا ... بقولٍ إذا ما جئت : هذا حَبيبها

فجاءتْ والله بالسِّحر، وجَعل الواثقُ يُجاذبها ، وفى خلال ذلك تُغنِّى الصوتَ بعد الصوت . وأُغنى أنا خلال غنائها . فمرّ لنا يومٌ أحسنُ ما مرّ لأحد . فإنّا لكذلك إذ رفع رجلَه فضرب بها صدر فريدة ضربةً تدحرجتْ منها من أعلى السرير إلى الأرض، وتفتّت عودُها ، ومرّت تعدو، وتَصيح و بَقيتُ كالمَنزوع الرُّوح ، ولم أشكَّ فى أنّ عَينه وقعتْ عليها وقد نَظرت إلىّ أو نظرتُ إليها ، فأَطرق ساعةً إلى الأرض مُتحيِّراً ، وأطرقتُ أتوقّع ضَرب العُنق . فإنِّى لكذلك إذ قال : يا محمد . فوثبتُ قائماً . فقال : ويحك ! أرأيتَ أعجبَ مما تهيّأ علينا ! فقلت : يا سيّدى ، الساعةَ والله تخرج رُوحى ، فعلى مَن أصابنا بعينٍ لعنةُ الله ! فما كان السبب ؟ أَلذنبٍ ؟ قال : لا والله ، ولكن فكرتُ فى أن جعفراً يقعُد هذا المَقعد وتَقعد معه كما هى

(١) جودت : أسرعت .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « عين » مكان « نفس » .

قاعدة معى ، فلم أُطِق الصَّبر ، وخامرنى ما أَخرجنى إلى ما رأيتَ . فسُرِّى عنّى وقلت : بل يقتُل الله جعفراً ويحيا أميرُ المُؤمنين أبداً ، وقبَّلتُ الأرض وقلت : يا سيدى ، اللهَ اللهَ ! أرْحمها ومُرْ برَدِّها . فقال لبعض الخدم الوُقوفِ مَن يجيء بها . فلم يكُن بأسرعَ من أن خرجتْ وفى يدها عودُها وعليها غيرُ الثياب التى كانت عليها ، فلما رآها جَذبها إليه وعانقها . فبكتْ ، وجعل يبكى ، وأندفعتُ أنا فى البُكاء . فقالت : ما ذَنبى يا مولاى ؟ وبأى شيء أستوجبتُ هذا ؟ فأعاد عليها ما قاله لى وهو يبكى . فقالت : سألتُك بالله يا أمير المُؤمنين إلّا ضربتَ عُنقى الساعةَ وأَرحتَنى من الفكر فى هذا ، وأرحتَ قلبك من الهمّ بى . وجعلتْ تبكى ويَبكى ، ثم مَسحا عينَيْهما ، ثم رجعتْ إلى الغِناء . وأومأ إلى خدم وُقوف بشيء لا أعرفه . فمضَوْا وأحضروا أكياساً فيها عَيْنٌ ووَرِق[1] ورُزَماً فيها ثياب كثيرة . وجاء خادمٌ بدُرْجٍ ، ففتحه وأَخرج منه عِقداً ما رأيتُ قطُّ مثلَ جوهرٍ كان فيه ، فألبسه إيّاها ، وأُحضرتْ بَدْرة فيها عشرة آلاف دِرهم فَحُلّت بين يدىّ ، وخمسةُ تُخوت فيها ثياب ، وعُدْنا إلى أمرنا وإلى أحسن ما كُنا . فلم نَزل كذلك إلى الليل ، ثم تفرّقنا ، وضَرب الدهرُ ضَرباته وتُوفِّى الواثق وتَقلَّد المُتوكِّل الخلافةَ. فوالله إنّى لفى منزلى فى غير نَوبتى إذ هجم علىّ رسُل الخليفة ، فما أمهلونى حتى ركبتُ وصرتُ إلى الدار ، فأُدخلت والله الحجرة بعَينها ، وإذا المتوكل فى الموضع الذى كان فيه الواثقُ وعلى السَّرير بعينه ، وإلى جانبه فريدةُ . فلما رآنى قال لى : ويحك ! أما ترَى ما أنا فيه من هذه ! أنا منذ غُدوة أُطالبها بأن تُغنِّى ، فتأبى ذلك. فقلتُ : سبحان الله ! أتُخالفين سيّدك وسيّدنا وسيّد البَشر ! بحياته غنِّى . فضربتْ والله ثم أندفعت تُغنِّى :

مُقيم بالمَجازةِ من قَنَوْنَى وأهلُك بالأُجَيْفر[2] فالثِّمادِ

(١) العين : الذهب . والورق : الفضة . (٢) المجازة : من منازل طريق مكة . وقنونى : واد من جهة مكة . والأجيفر : موضع فى بلاد قيس . والثماد : موضع فى ديار بنى تميم .

فلا تَبْعَد فكلُّ فتًى سيأتى عليه الموتُ يطرُق أو يُغادِى

ثم ضربت بالعُود الأرض ورمتْ بنفسها عن السَّرير، ثم مرّت تعدُو وتَصيح: وا سيداه! فقال لى: ويحك! ماهذا؟ فقلت: لا أدرى والله يا سيّدى. قال: فما ترَى؟ قلت: أرى والله يا سيّدى أن أنصرف وتحضُر هذه ومعها غيرُها، فإن الأمر يؤُول إلى ما يُريد أميرُ المُؤمنين. قال: فانصرفْ فى حِفظ الله. فانصرفتُ ولم أدر ما كانت القِصّة[1].

(١) ساق ابن واصل بعد الحديث عن «فريدة» أخبار «ذى الطمحان القينى» وموضعها فى الجزء الحادى عشر من المطبوع. وهذا مكانها فى المخطوطات أيضاً. فآثرنا ما عليه الكثرة وأخرنا هذه الترجمة إلى مكانها.

أخبار أُميّة بن أبي الصّلت

نسبه

وأسم أبي الصّلت عبدُ الله بن أبي رَبيعة بن عَوْف بن عُقْدة بن عَنَزة ٱبن قَسِيّ ، وهو ثَقيف بن مُنَبِّه بن بَكْر بن هَوازن . وأُمه آمنة بنت عبد شَمس ٱبن عَبد مناف .

شيء عن أبي الصلت

وكان أبو الصّلت شاعراً ، وهو الذى يَمدح سيف بن ذى يَزَن بقوله :

لِيَطْلُبِ الثَّأْرَ أمثالُ ٱبن ذى يَزَنٍ ... فى البحر خَيَّم للأعداء أَحوالا

على ما يُذكر فى مَوضعه .

منزلة أمية فى الشعر وشيء عنه

وكان أُمية شاعراً مُجيداً ، لأنّه لقراءته الكُتب المُنزّلة كان يأتى فى شعره بأشياء لا تَعرفها العربُ ، فلذلك العُلماء لا يَحتجّون بشعره . وكان قد نَظر فى الكُتب وقرأها ولبس المُسوح تَعبُّدا ، وأكثر من ذكر إبراهيم وإسماعيل والحنيفيّة ، وحَرّم الخمر ، وٱلتمس الدِّين وطَمِع فى النُّبوة ، لأنه قرأ فى الكُتب أن نبيًّا يُبعث من العرب ، فكان يرجو أن يكون هو ، فلما بُعث النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم قِيل له : هذا الذى كنتَ تَنتظر وتقول فيه . فَحسده عدوُّ الله وقال : إنما كنتُ أرجو أن أكونَه . فأنزل الله تعالى فيه : (واتْلُ عَلَيْهم نبأَ الَّذِى آتَيْناهُ آياتنا فانْسَلَخَ مِنها) .

وأُميةُ الذى يقول :

كُلّ دين يومَ القيامة عند اللّـــــهِ إلّا دينَ الحنيفةِ زُورُ

شعره فى رثاء مشركى بدر

ولما أوقع النبيُّ صلى الله عليه وسلم بالمُشركين ببدر ، وقُتل من قُتل وأُسر من أُسر ، قال عدوُّ الله أُمية يرثيهم بقصيدة ، منها :

مَنْذا ببـــدرٍ والعَقَنْـ قَل من مَرازبةٍ جَحاجِحْ[1]

وقد نَهى النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم عن رواية هذه القَصيدة .

ثم كان أُمية بعد وقعة بدر يحرِّض المشركين بالنبىّ صلى الله عليه وسلم .

طمعه فى النبوة

وقيل :

إن أُمية بن أبى الصلت كان خَرج فى بعض أسفاره إلى الشأم ، فمرّ بكنيسة ، وكان معه جماعةٌ من العرب وقُريش ، فقال أُمية : إن لى حاجة فى هذه الكنيسة فانتظرونى . فدخل الكنيسةَ فأَبطأ ، ثم رجع كاسفاً مُتغيِّراً ، فرمى بنفسه . فأقاموا عليه حتى تسرَّى عنه . ثم مضوْا وقضَوْا حوائجهم ، ثم رجعوا . فلما صاروا إلى الكنيسة قال : انتظرونى ، ودخل أيضاً ، فأبطأ ثم خرج إليهم بأسوأ من حاله الأُولى . فقال له أبو سفيان بن حَرب : قد شَققت على رُفقائك . فقال : خلُّونى فإنى أرتاد لنفسى وأنظر لمَعادى ، إن هاهنا راهباً عالماً أخبرنى أنه يكون بعد عيسى ابن مَريم ستُّ رَجعات ، وقد مضتْ منهـــا خَمس و بقيتْ واحدة ، فخرجتُ وأنا أطمع فى النُبوة وأخاف أن تُخطئنى ، فأصابنى ما رأيت ، فلمـا رجعتُ أتيتُه فقال لى : قد كانت الرَّجعـةُ ، وقد بُعث نبىُّ العرب ، فأَيِستُ من النُّبوة ، فأصابنى ما رأيت ، إذ فاتنى ما كنت أطمع فيه .

وقيل :

خَرج أُميـة بن أبى الصَّلت فى سَـفر فنزلُوا منزلاً ، فأَمَّ أُميةُ وجهاً وصَـعِد فى كَثيب ، فرُفعتْ له كَنيسـةٌ فأُنتهى إليها ، فإذا شيخٌ جالس ، فقال لأُميَّـة حين رآه : إنك لَمتبوع ، فمن أين يأتيك رَئيُّك[2] ؟ قال : من شِقِّ الأَيسر .

(١) العقنقل : كثيب رمل بِبدر . ومرازبة : جمع مرزبان ، وهو الفارس الشجاع . معرب . وجحاجح ، جمع جحجح ، وهو السيد المسارع فى المكارم . والرواية فى أكثر أصول الأغانى : «ماذا» . مكان « منذا » .

(٢) الرئى : جنى ، زعمت العرب أنه كان يلهم صاحبه الكهانة والطب ويلقى عليه الشعر .

قال : فأى الثّياب أحبّ إليه أن يأتيك فيها ؟ قال : السّواد . قال : كِدْت والله تكون نبيّ العرب ، ولستَ هو ، هذا خاطرٌ من الجنّ وليس بمَلَكٍ ، فإن نبيّ العرب صاحبَ هذا الإمر يأتيه من شِقّه الأيمن ، وأحبّ الثياب إليه أن يلقاه فيها البَياض .

وأتى أُميةُ أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، عَمِى الخبرُ ، فهل أحسستَ شيئاً ؟ قال : لا . قال : قد وجدتُه يخرُج العامَ .

زعمه فى شاة ثغت

وذُكر أن أُمية بن أبى الصّلت كان جالساً ومعه قومٌ ، فمرّت بهم غنمٌ[1] فثغَت ، شاة . فقال لقوم : هل تَدرون ما قالت الشاة ؟ قالوا : لا . قال : إنها قالت لسَخلتها : مُرِّى لا يجىء الذِّئب فيأكلك كما أكل أُختك عام أول فى هذا الموضع . فقام بعضُ القوم إلى الرّاعى فقال : أخبرنا عن هذه الشاة التى ثَغت ، ألها سَخلة ؟ قال : نعم ، هذه سَخلتها . قالوا : فكان لها عامَ أول سَخلة ؟ قال : نعم ، وأكلها الذّئب فى هذا الموضع .

حديث توقيه من عظاية

وقيل :

خَرج رَكْب من ثَقيف إلى الشأم ، وفيهم أُمية بن أبى الصّلت ، فلما قَفلوا راجعين نَزلوا منزلاً ليتعشّوا ، إذ قد أقبلت عَظَاية[2] حتى دنتْ منهم ، فحَصبها بعضُهم بشىء فى وجهها فرجعت ، وكَفتوا سُفْرتهم[3] ، ثم قاموا يَرحلون مُمسين . فطلعت عليهم عَجوز من وراء كَثيب مُقابل لهم تتوكّأ على عصا ، فقالت : مامنعكم أن تُطعموا رَحيمة ، الجارية اليتيمة ، التى جاءتكم عُتَيمة[4] ؟ فقالوا : وما أنت ؟ قالت : أنا أُم العوّام ، إمْت[5] منذ أعوام ؛ أما وربِّ العباد ، لتفترقُنّ فى البلاد .

(١) ثغت : صاحت وصوتت . (٢) العظاية : دويبة ملساء تشبه سام أبرص .
(٣) كفتوا : ضموا . والسفرة : ما يبسط تحت الخوان من جلد أو غيره .
(٤) عتيمة ، تصغير : عتمة ، و هى ثلث الليل الأول . والذى فى أكثر أصول الأغانى : « عشية » . (٥) آمت المرأة : فقدت زوجها .

وضَربت بعصاها الأرض ثم قالت : أَطيلى إيابهم ، ونَفِّرى رِكابهم. فوثبت الإبلُ كأن على ذِرْوة كل بعير شيطاناً ، فلم يُملَك منها شىء حتى أُفترقت فى الوادى . فجمعناها آخر النّهار ومن غَدٍ فلم نَكد . فلما أنخناها لنُرْحلها طلعت علينا العَجوز بعصاها وقالت كقولها بالأمس. ففعلت الإبل كفِعْلها بالأمس . فلم نَجمعها إلّا الغَدَ عشيًّا ، فلما أَنخناها لنَرْحلها أقبلت العجوز فقالت كقولها فى اليومين ، وتفرّقت الإبل. فقلت لأُمية : أَين ما كنتَ تُخبرنا عن نفسك ؟ فقال: أذهبوا أنتم فى طلب الإبل ودَعوني . فتوجّه إلى الكَثيب الذى كانت العجوز تأتي منه حتى عَلاه ، وهَبط منه إلى وادٍ فيه كنيسةٌ وقَناديل ، و إذا رجل مُضطجع مُعترض على بابها ، و إذا آخر أبيضُ الرأس واللِّحية ، فلما رأى أُمية قال : إنك لَمتبوع ، فمن أين يأتي صاحبُك ؟ وجرى بينهما فى ذلك ما تقدّم ذِكْره[1] . ثم قال : ما حاجتُك ؟ فحدّثه بحديث العجوز . فقال : صدقتْ وليست بصادقة ، هى أمرأة يهوديّة من الجِنّ هَلك زوجُها منذ أعوام ، و إنها لا تزال تَصنع بكم ذلك حتّى تُهلككم إن أستطاعتْ . فقال أُمية : وما الحيلةُ ؟ قال : أَجمعوا ظَهْركم[2]، فإذا جاءتْكم ففعلت كما كانت تفعل ، فقُولوا : سبعٌ من فوق وسبعٌ من أسفل ، بأسمك اللّهم . فلن تَضُرَّكم . فرجع أُميةُ إليهم وقد جمعوا الظَّهر . فلما أقبلت العجوز . قال لها ما أمر به الشيخ ، فلم تضُرهم . فلما رأت الإبلَ لم تتحرّك ، قالت : قد عرفتُ صاحبَكم ، لَيَبْيَضَنّ أعلاه ، ولَيَسْودنّ أسفلُه . فأَصبح أُمية وقد بَرِصَ فى عِذارَيْه وأسودَّ أسفلُه . فلما قَدِموا مكة ذكروا لهم الحديثَ . فكان ذلك أولَ ما كتب أهلُ مكة « بأسمك اللهم » .

حديث شق صدره

وقيل :

دَخل أُمية بن أبى الصَّلت على أُخته ، وهى تُهيىء أدَماً لها ، فنام على سرير

(١) انظر (ص ٤٩٩) من هذا الجزء . (٢) الظهر : ما يحمل عليه من الإبل .

فى ناحية البيت، فانشقّ جانبٌ من السقف، فإذا بطائرَيْن، فوقع أحدُهما على صدره فشقّه وأخرج قلبه ، ووقف الآخر مكانَه . فقال الطائر الواقف للطائر الذى على صدره : أوَعى ؟ قال : وَعَى . قال : أقَبِلَ ؟ قال : أَبَى . فردّ الطائرُ قلبه فى موضعه ثم نَهض . فأتبعه أُمية طَرْفَه وقال :

لبّيكما لبّيكما ها أنذا لدَيْكما

لا بَرِىءٌ فأعتذر ، ولا ذو عَشيرة فأنتصر . فرجع الطائر فوقع على صَدره فشقّه، ثم أخرج قلبه فشقّه . فقال الأعلى : أوَعَى ؟ قال : وَعَى . قال : أقَبِل؟ قال : أَبَى. فنهَض. فأتبعهما أُمية طَرفه وقال :

لبَّيكما لبَّيكما ها أنذا لدَيْكما

مَحفوف بالنّعم ، مَحفوظ من الرِّيب . فرجع الطائر فوقع على صَدره فشقّه . فقال الأعلى : أوعى ؟ قال : وَعى . قال : أقَبِل؟ قال : أبَى . ونهَض. فأتبعهما أُميَّة طَرفَه فقال :

لبَّيكما لبَّيكما ها أنذا لدَيْكما
إن تَغْفر اللهم تَغْفر جَمًّا وأىُّ عبدٍ لك لا ألَمَّا[1]

قالت أُخته: ثم انطبق السقفُ وجلس أُمية يَمسح صدرَه . فقلتُ : يا أخى ، هل تجد شيئًا ؟ قال : لا ، ولكنِّى أجد حرًّا فى صدرى . ثم أنشأ يقول :

ليتنى كنتُ قبل ما قَدْ بدا لِى فى رُءوس الجِبال أَرْعى الوُعولَا
أَجْعلِ الموتَ[2] بين عَيْنيك واحْذَرْ غَولةَ الدَّهْر إن للدَّهر غُولا

وروى ابن عبّاس أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صدَّق أُمية فى قوله :

(١) ألم : وقع فى اللمم ، وهو صغار الذنوب .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « نصب » مكان « بين » .

رَجلٌ وثورٌ[1] تحت رِجْل يَمينه والنَّسر للأُخرى وليثٌ مُرْصَدُ

فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : صدَق .

النبى صلى الله عليه وسلم حين أنشد من شعره

وقيل :

أنشد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قول أُمية بن أبى الصَّلت :

الحمدُ لله مُمْسانا ومُصْبَحنا بالخير صَبَّحنا ربِّى ومسَّانا

ربُّ الحَنيفة لم[2] تَنفد خزائنُها مَملوءةً طبَّق الآفاق سُلطانا

ألَا نَبىٌّ لنا منّا فيُخبرَنا ما بعد غايتنا من رأس مَحْيانا

بينا يُرَبِّينا أباؤنا هَلكوا و بينما نَقْتنى الأَولادَ أفنانا

وقد علمنا لو أنّ العِلْم ينفعنا أنْ سوف يَلْحق أُولانا بأُخرانا

فقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : إن كاد أمية ليُسلم .

شعره يعتب على ابن له

وقيل :

إن أُمية بن أبى الصَّلت عَتب على ابنٍ له ، فقال :

غَذوتُك مولوداً وعُلْتُك يافعًا تُعَلُّ بما أجنى عليك[3] وتَنْهَلُ

إذا ليلةٌ نابتْك بالشَّكْو لم أبتْ لشَكْواك إلّا ساهراً أتململ

كأنِّى أنا المَطروق دونك بالّذى طُرقت به دونى فعينىَ تَهْمُل

تخافُ الرَّدى نَفْسى عليك و إنَّها لتَعْلم أنّ الموتَ حَتْمٌ[4] مؤجَّل

فلما بلغتَ السنَّ والغايةَ التى إليها مَدى ما كنتُ منك أُؤمِّل

جعلتَ جَزائى غِلْظةً وفَظاظةً كأنك أنت المُنْعِم المُتفضِّل

وسَمَّيتنى[5] باسم المُفَنَّد رأيُه وقلت ولم تصدُق أناسك أفضل

(١) فى التجريد : « أسد ونسر » .

(٢) فى التجريد : « لم يفتت خواتمها » مكان : « لم تنفد خزائنها » .

(٣) أجنى ، عليك ، أى أكسب لك . (٤) فى التجريد : « وقت » مكان « حتم » .

(٥) لم تذكر أصول الأغانى هذا البيت والبيتين بعده .

فليتك إذ لم ترْع حقَّ أبوتى كما يفعل الجارُ المجاور تفْعل
تراه مُعـــدًّا للخِـــلاف كأنه برَغمى على رَيْب الزَّمان موكَّل

حديث موته

وقيل :

إنه لما بُعث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أخذ أُميـة بن أبى الصَّلت ابنيه وهَرب بهما إلى اليمن ، ثم عاد إلى الطائف . فبينا هو يَشرب مع إخوانٍ له فى قَصر غَيلان[1] بالطائف إذ سَقط غُراب على شُرفة القَصر ، فنَعب نَعبةً ، فقال أمية : بفيك الكَثْكث — وهو التراب — فقال أصحابُه : ما يقول ؟ قال : إنه يقول : إذا شربتَ الكاس التى بيدك متَّ . فقلت له : بفيك الكَثكث . ثم نَعب نَعبة أُخرى . فقال أُميـة نحو ذلك . فقال أصحابُه : ما يقول ؟ قال : زَعم أنّه يقع على هذه المَزبلة أسفلَ القصر فيستثير عظماً فيَبتلعه فيموت ، فقلت له نحو ذلك . فوقع الغُراب أسفل القصر فأثار العظم فابتلعه وشَجِى به فمات . فانكسر أُميـة ووضع الكأس من يده وتغيَّر لونُه . فقال له أصحابُه : ما أكثر ما سمعنا مثل هذا وكان باطلاً ، وألَحُّوا عليه حتى شرب الكأس . فمال فى شِقٍّ وأُغمى عليه ، ثم أفاق فقال : لا برىء فأعتذر ، ولا قوىّ فأنتصر . ثم خرجت نفسُه .

(١) هو غيلان بن سلمة بن معتب ، أعجب به كسرى حين وفد عليه فبنى له هذا القصر .

أخبار حسّان

نسبه

هو حسّان بن ثابت بن المُنذر بن حَرام بن عمرو بن زَيد مَناةَ بن عدىّ بن عَمرو ابن مالك بن النجّار . وهو تَيم الله بن ثَعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثَعلبة ، وهو العَنْقاء — وإنما سُمى العَنقاء لطُول عُنقه — ابن عمرو ، وهو مُزَيقياء ، ابن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغِطريف بن أُمرىء القيس البِطْريق بن ثَعلبة البُهلول بن مازن بن الأَزد ، وهو دِرء[1] — وقيل : دِراء ، ممدود — بن الغَوث ابن نَبْت بن مالك بن زَيد بن كَهلان بن سَبأ بن يشجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان .

و بنو عمرو بن عدىّ بن النجّار يُسَمّون بنى مَعالة . ومَعالة أُمهم ، وهى امرأة من القَيْن ، و إليها كانوا يُنسبون . وأُم حسّان بن ثابت الفُريعة بنت خالد بن قيس بن لَوذَان بن عبد وُدّ بن زَيد بن ثَعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كَعْب ابن الخزرج .

وكان اسم النجّار تيمَ اللات ، فجعله رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم « تيم الله » لئلا يكون فى أنساب الأنصار « تيم اللات » .

فحل من المعمرين

وحسّان بن ثابت فَحل من فُحول الشُّعراء . وقد قيل : إنه أشعر أهل المَدر ، وكان من المعمَّرين ، عُمِّر مائةً وعشرين سنة ، ستِّين فى الجاهلية وستِّين فى الإسلام .

عمره

ورُوى عن حسّان بن ثابت قال : إنِّى لغُلام يَفَع أبن سَبع سنين أو ثمان ،

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ذرئ » بالذال . تصحيف .

إذا يهودىّ بيَثْرب يصرُخ ذات ليلة : يا معشر يهود . فلمّا اُجتمعوا قالوا : ويلك ! مالك ؟ قال : طَلع نَجم أحمد الذى وُلد به فى هذه اللَّيلة . وأدركه ولم يُؤمن به . وهذا يدلُّ أنه عُمِّر فى الجاهلية ستين سنة ، لأنه ذَكر أنه أدرك ليلة وُلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله يومئذ ثمانى سنين ، والنبىّ صلى الله عليه وسلم بُعث وله أربعون سنة، فأقام بمكة ثلاثَ عشرة سنة، وقدم المدينةَ ولحسّان يومئذ، على ما ذَكر، ستّون سنة ، أو إحدى وستون سنة . وحينئذ أسلم .

خضابه

وكان يَخضب شار به وعَنْفقته[1] بالحِنَّاء ، ولا يَخْضب سائر لحيته .

فضله على الشعراء

وكان يُفضَّل حسّان على الشُّعراء بثلاث : كان شاعرَ الأنصار فى الجاهليَّة ، وشاعر رسول الله صلّى الله عليه وسلم فى النُّبوّة ، وشاعر اليمن كُلها فى الإسلام .

استشهاده بأبى هريرة

وقيل :

جاء حسّان إلى نَفر منهم أبو هُريرة رضى الله عنه ، فقال: أَنشُدك الله ! أَسمعتَ رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول : أجِبْ عنّى . ثم قال : اللّهم أيِّده برُوح القُدس ؟ فقال أبو هريرة : اللهم نَعم .

من الثلاثة الذين عارضوا شعراء قريش

وقيل :

كان يهجو رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم ثلاثةُ رَهْط من قُريش : عبدُ الله ابن الزِّبَعْرى ، وأبو سُفيان بن الحارث بن عبد المُطلب ، وعمرو بن العاص . فقال قائل لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : اهْجُ عنّا القوم الذين هَجَونا . فقال علىّ رضى الله عنه . إنْ أَذن لى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم فَعلتُ . فقال رجل : يا رسول الله ، إيذن لعلىّ كيما يَهجو عنّا هؤلاء القومَ الذين هَجَونا . فقال : ليس هناك ، أو ليس عنده ذاك . ثم قال للأنصار : ما يمنَع الذين نَصروا رسولَ الله

(١) العنفقة : شعرات بين الشفة السفلى والذقن .

بسلاحهم أن ينصُروه بألسنتهم ؟ فقال حسّان بن ثابت : أنا لها، وأخذ بطَرف لسانه وقال : والله ما يسُرّنى به مِقْوَلٌ من بُصْرى وصَنْعاء . فقال : كيف تَهْجوهم وأنا منهم ؟ فقال : إنى أسُلّك منهم كما تُسَلّ الشّعرة من العَجين . فكان يَهجوهم ثلاثةٌ من الأنصار : حسّان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رَواحة . فكان حسّان وكعب يُعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ، ويعيّرانهم بالمَثالب . وكان عبد الله بن رَواحة يعيّرهم بالكُفر ، ويُعلم أنّه ليس فيهم شرٌّ من الكُفر . وكان فى ذلك الزمان أشدُّ القول على الكُفار قولَ حسان بن ثابت، وأهونُ القول عليهم قولَ ابن رواحة . فلما أسلموا وتفقّهوا فى الإسلام كان أشدّ القول عليهم قول ابن رَواحة .

استئذانه النبى صلى الله عليه وسلم فى هجائه أبا سفيان

وقيل :

قام حسّان بن ثابت فقال : يا رسول الله ، إيذن لى فيه — يعنى أبا سُفيان ابن الحارث — وأخرج لساناً أسود ، وقال : يا رسول الله ، لو شئتُ لفَريتُ به المَزاد[1]، إيذن لى فيه . فقال: اذهب إلى أبى بكر ليحدِّثك بحديث القوم وأيامهم وأحسابهم ، ثم اهْجُهم وجبريلُ معك . فأتى أبا بكر رضى الله عنه فأعلمه بما قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم . فقال : كُفَّ عن فُلانَة واذكر فلانة . فقال حسّان:

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه ... وعند الله فى ذاك الجَزاء
فإنّ أبى ووالدَه وعِرْضى ... لعِرض محمّد منكم وِقاء
أتهجُوه ولستَ له بكُفء ... فشرُّ كما لخيركما الفِداء

وقيل :

لمّا أُنشدت قُريش شعر حسّان بن ثابت قالت : إن هذا الشّتم ما غاب عنه ابنُ أبى قُحافة .

(١) المزاد : جمع مزادة ، وهى التى يحمل فيها الماء .

وذُكر أنّ عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه فى أيّام خلافته نَهى الناس أن يُنشدوا شيئاً من مُناقضة الأنصار ومُشركى قُريش ، وقال : فى ذلك شَتم للحىّ والميت وتَجديدُ الضغائن ، وقد هدَم الله أمر الجاهليّة بما جاء من الإسلام . فقدم المدينةَ عبدُ الله بن الزِّبعرى السَّهمى ، وضِرار بن الخطّاب الفِهرى ثم المُحاربىّ ، فنزلَا على أحمد بن جَحش وقالا : نُحب أن تُرسل إلى حسّان بن ثابت حتى يأتيكَ فنُنشده ويُنشدنا ماقُلناه وما قاله . فأرسل إليه فجاء . فقال : يا أبا الوليد ، هذان أخَواك : أبن الزِّبعرى ، وضرار ، وقد أحبّا أن يُسْمعاك وتُسمعهما ما قالا لك وقلت لهما . فقال أبنُ الزِّبعرى ، وضِرار : نعم يا أبا الوليد ، إنّ شعرك كان يُحتمل فى الإسلام ولا يُحتمل شعرنا ، وقد أحببنا أن نُسمعك وتُسمعنا . فقال حسان : أفتبدآن أم أبدأ ؟ قالا : نبدأ نحن . قال : أنشِدا . فأنشداه حتى فار فصار كالمِرجل غضباً ، ثم اُستويا على راحلتَيهما يُريدان مكة . فخرج حسّان حتى دَخل على عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه فقَصّ عليه قصّتهما وقِصته . فقال له عُمر : لن يَذْهبا عنك بشىء إن شاء الله ، وأرسل من يرُدّهما ، وقال له عمر : إن لم تُدركهما إلا بمكة فارددْهما علىّ . وخَرجا ، فلما كان بالرَّوْحاء[1] رَجع ضِرار إلى صاحبه وقال له : يابن الزِّبعرى ، أنا أعرف عُمر وذَبَّه عن الإسلام وأهله ، وأعرف حسّان وقلّة صبره على ما فعلنا به . وكأنّى به قد جاءه وشكا إليه ما فعلنا ، فأرسل فى آثارنا وقال لرسوله : إن لم تَلْحقهما إلا بمكة فاُردهما علىّ ، فارْبَح بنا ترك العناء وأَقِم بنا فى مكاننا هـذا ، فإن كان الذى ظننتُ فالرُّجوع من الرَّوحاء أسهلُ منه من أبعدَ منها ، وإن أخطأ ظنّى فذلك الذى نُحب ونحن من وراء المُضىّ . فقال أبنُ الزِّبعرى : نِعْم ما رأيتَ . فأقاما بالرَّوحاء ، فما كان إلا كمرّ طائر حتى وافاهما رسولُ عُمر بن الخطّاب ، فرَجعا إليه[2] . فدعا لهما بحسّان ، وعُمر فى جماعة من

(١) الروحاء : موضع بين مكة والمدينة على نحو ثلاثين ميلا من المدينة .

(٢) فى بعض الأصول : « فردها إليه » .

أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال لحسان : أَنْشدهما ما قلتَ لهما . فأَنشدهما حتى فَرَغ ممّا قال لهما . فقال عمر : أفرغت ؟ قال : نعم . قال : أَنْشداك فى الخلاء وأنشدتَهما فى الملأ . وقال لهما عمر : إن شئتُما فأَقيما وإن شئتُما فانصرفا . وقال لمن حَضره من الأنصار : إنّى قد نهيتُكم أن تَذْكروا ممّا كان بين المُسلمين والمُشركين شيئاً دفعاً للتضاغُن عنكم ، وبَثِّ القَبيح فيما بينكم . فأمّا إذ أَبَوْا فاكتُبوه واُحفظوه . فدوّنوا ذلك عنهم[1] .

من هجائه لأبى سفيان بن الحارث

وممّا قاله حسانُ فى أبى سُفيان بن الحارث يهجوه :

وإن سناء[2] المَجد من آلِ هاشمٍ ... بنو بِنْتِ مَخزومٍ[3] ووالدُك العَبْدُ

ومن ولدتْ أبناء زُهْرة منهمُ ... كرامٌ ولم يبلُغ عجائزَك[4] المجدُ

وإنْ امرأً كانت سُميّةُ[5] أُمَّه ... وسَمْراءُ[6] مغلوبٌ إذا بلغ الجَهْد

وأنتَ هَجينٌ[7] نِيطَ فى آلِ هاشمٍ ... كما نِيطَ خلْفَ الرَّاكب القَدَحُ الفَرْد

فقال العبّاس رضى الله : مالى أنا وحسّان ! يعنى فى ذِكْره نُتيلة[8] أُمه . فقال حسّان فيها :

ولَسْتَ كعبّاس ولا كابن أُمِّه ... ولكنْ هَجينٌ ليس يُورَى له زَنْدُ

---

(١) فى بعض الأصول : « عندهم » . (٢) فى أصول الأغانى : « سنام » .

(٣) بنت مخزوم ، هى فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وهى أم عبد الله ، أبى النبى صل الله عليه وسلم ، والزبير ، وأبى طالب ، أبناء عبد المطلب . و« والدك العبد » : يريد به : الحارث ابن عبد المطلب ، وهو ابن أبى سفيان المهجو ، وكانت أمه أم ولد .

(٤) يمدح آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم ، وهالة أم حمزة ، وصفية ، وكلتاهما زهرية . و« لم يلحق عجائزك المجد » يهجو أبا سفيان بأن أمهاته لسن أحراراً ، فأم أبى سفيان أم ولد ، وأم أبيه كذلك أم ولد .

(٥) سمية : هى أم الحارث بن عبد المطلب . والذى فى الأصل : « نتيلة » تحريف .

(٦) سمراء : أم أبى سفيان . (٧) الهجين : من أبوه عربى وأمه ليست عربية .

(٨) هى نتيلة بنت كليب بن مالك بن جناب ، أم العباس وضرار ، ابنى عبد المطلب .

حداؤه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقيل :

قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ليلةً وهو فى سَفر : أين حسّان بن ثابت ؟ فقال حسان : لبَّيك يا رسولَ الله وسَعْديك . قال : أُحْدُ . فجعل يُنْشد ويُصْغى إليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ويَستمع ، فما زال يَسمع إليه وهو سائقٌ راحلَته حتى كاد رأسُ راحلته يَمسّ الوَرِكَ ، حتى فَرَغ من نَشيده . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَهَذا أشدُّ عليهم من وَقْع النَّبْل .

مجاوبته شاعر وفد تميم

وقيل :

لمّا قَدِم على النبيّ صلى الله عليه وسلم وفدُ بنى تَميم ، وهم سَبعون رجلاً ، منهم الأقرعُ بن حابس ، والزِّبْرقان بن بَدر ، وعُطارِد بن حاجب ، وقيس أبن عاصم ، وعَمرو بن الأَهتم ، وانطلق معهم عُيَينة بن حِصْن ، فقدِموا المدينةَ فدخلوا المسجد، فوقَفوا عند الحُجرات، نادَوْا بصوتٍ عالٍ جافٍ : أُخرُج يا محمد ، فقد جئنا لنُفاخرَك ، وجئنا بشاعرنا وخَطيبنا . فخرج إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فجلس . فقام الأقرعُ بن حابس فقال : والله إن مَدحى لزَيْن ، وإن ذَمِّى لشَيْن . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ذلك الله . فقالوا : إنّا لأكرمُ العرب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكرمُ منكم يوسُف بن يعقوب أبن إسحاق بن إبراهيم . فقالوا : إيذَن لشاعرنا وخطيبنا . فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فجلس وجَلس معه الناسُ . فقام عُطارد بن حاجب فقال : الحمد لله الذى له الفضلُ علينا بهدايته ، الذى جَعلنا مُلوكاً وجعلنا أعزَّ أهل الشَّرق[1]، وأتانا أموالاً عظاماً نَفعل فيها المَعروف ، وليس فى الدُّنيا مثلُنا ، أوَ لسنا برُءوس الناس وذَوى فَضْلهم ! فمَن فاخرنا فلْيُعُدَّ علينا مثلَ ما عَدَدْناه ، ولو نشاء لأكثرنا ، ولكنّا نستحى من الإكثار فيما خَوّلنا الله وأعطانا . أقول قولى هذا

(١) فى بعض أصول الأغانى : « المشرق » .

فَأْتُوا بقولٍ أفضلَ من قولنا ، أو أمرٍ أَبْيَن من أَمْرنا . ثم جلس . فقام ثابت ابن شَمّاس فقال : الحمد لله الذى السمواتُ والأرض خَلْقُه ، قَضى فيهن أمرَه ، ووَسِع كُرسيُّه علمُه ، ولا يَقْضى شيئاً إلا من فَضله وقُدرته ، وكان من قُدرته أن اصطفى لنا رسولاً أكرمهم حَسَباً ، وأصدقهم حديثاً ، وأحسنَهم رأياً . وأنزل عليه كتاباً ، وائتمنه على خَلْقه ، وكان خِيرةَ الله من العالَمين . ثم دعا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الإيمان ، فأجابه من قومه وذَوى رَحِمه المُهاجرون ؛ أكرمُ الناس أنساباً ، وأصبحُ الناس وجُوهاً ، وأفضل الناسُ أفعالاً . ثم كان أول من اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب واستجاب له نحن مَعْشَر الأنصار . فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نُقاتل الناسَ حتى يؤمنوا أو يقولُوا : لا إله إلا الله . فمن آمن بالله ورسوله مَنع منّا مالَه ودمَه ، ومَن كفر جاهَدْناه فى الله وكان جهادُه علينا يسيراً . أقول قولى هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات . فقام الزِّبرقان فقال :

نحن المُلوك فلا شىء(١) يقارِبُنا ... منّا المُلوك وفينا يُؤْخَذ(٢) الرُّبُعُ
ونَنْحر الكُومَ(٣) عُبْطاً فى منازلنا ... للنّازلين إذا ما اسْتَطْعموا شَبِعوا
ونحن نُطْعِم عند القَحْط ما أكلوا ... من العَبيط إذا لم يَظهر(٤) القَزَع
تلك المكارمُ حُزْناها مُقارَعةً ... إذا الكِرامُ على أمثالها اقترعوا
كم قد قَسَرْنا(٥) من الأحياء كلِّهم ... عند النِّهاب وفضل العزِّ يتبع
وتُبصر الناسَ تأتينا(٦) سَراتُهم ... فى كُلِّ أمرٍ فنَمْضى ثم نُتَّبَع

(١) فى الأغانى : « قلاص ».
(٢) كان من عادة العرب فى الجاهلية أن يأخذ الرئيس ربع الغنيمة خالصاً دون أصحابه .
(٣) الكوم : جمع أكوم ، وهو البعير الضخم . والأنثى : كوماء . والعبط ، بضمتين ، وقد تسكن عينه : جمع عبيطة ، وهى الناقة تنحر عن غير داء .
(٤) القزع : السحاب . يشير إلى إطعامهم أيام المحل .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « نشدنا » .
(٦) رواية أصول الأغانى :
* وننصر الناس تأتينا سراتهم *

فأرسل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم إلى حسّان بن ثابت فجاء ، فأمره أن يُجيبه . فقال حسّان :

إنّ الذَّوائب من فِهْرٍ وإخْوتهم ... قد بَيَّنوا سُنَّةً للنـــاس تُتَّبَعُ
يَرْضَى بها كُلُّ مَن كانت سريرتُه ... تَقْوى الإلٰه وبالأمر الذى شَرَعوا
قومٌ إذا حاربوا ضَرُّوا عـــدوَّهمُ ... أو حاولوا النَّفعَ فى أشياعهم نَفعوا
ســجيةٌ تلك فيهم غيرُ مُحــدثةٍ ... إنّ الخلائق فاعْلم شَرُّها البِــدَع
لا يَرْقَع النـاسُ ما أوهت أكفُّهم ... عنــد الدِّفاع ولا يُوهون ما رَقعوا
إنْ كان فى النَّاس سبَّاقون بعــدهمُ ... فكلُّ سَــبْقٍ لأَدْنى سَــبْقهم تَبَع
أعفَّــةٌ ذُكرتْ فى الْوَحْى عِفَّتُهم ... لا يَطْبعون[1] ولا يُزْرِى بهم طَبَع
ولا يَضَنُّون عن جارٍ بفَضْلهمُ ... ولا يَمسُّهمُ من مَطْمَعٍ طَمع
يَسْمُون للحَرْب تَبْـدُو وهى كالحـةٌ ... إذا الزَّعانفُ[2] من أظفارها خَشَعوا
لا يَفْرحون إذا نالُوا عـدوَّهمُ ... وإن أُصيبُوا فلا خُورٌ ولا جُزُع
كأنّهم فى الوَغَى والموتُ مُكْتنِع ... أُسُودُ بِيشَةَ فى أَرْساغها[3] فَدَع
خُذ منهمُ ما أتَوْا عَفْواً وما[4] غَضِبُوا ... فلا يكُن هَمُّكَ الأمرَ الذى مَنعوا
فإنّ فى حَرْبهم فاتْرُكْ عَداوتهم ... شُمًّا عليـه يُخاض الصَّابُ[5] والسَّلَع
أكْرم بقَوْمٍ رسولُ الله قائدهم ... إذا تفــرَّقت الأهواء والشِّيَع
أهْـدَى لهمُ مِـدَحى قَلْبٌ يُؤازِره ... فيما أراد لســانٌ حاذِقٌ[6] صَنَع

(١) لايطبعون ، أى لا يأتون مايدنسهم و يعيبهم و يشينهم . والطبع : الدنس والعيب والشين .
(٢) الزعانف : أرذال الناس .
(٣) مكتنع : قريب . و بيشــة : من أعمال مكة مما يلى اليمن ، كثيرة الأسد . والفــدع : اعوجاج فى الرسغ .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « خذ منهم ما أتى عفواً و إن » .
(٥) يخاض : يخلط . والصاب والسلع : من الأشجار المرة .
(٦) فى بعض أصول الأغانى : « حائك » .

وإنّهم[١] أفضلُ الأحيـاء كُلهمُ إنْ جدَّ بالنّاس جِدُّ القَول[٢] أو شَمَعوا

فقام عُطارد بن حاجب فقال :

أتيناكَ كيما يَعـلَمَ النـاسُ فضلَنا إذا اُجتمعوا وقت اُحتضـار المَواسِمِ
بأنّا فُروعُ النّاسِ فى كُلِّ موطنٍ وأنْ لَيْس فى أرض الحجاز[٣] كدَارِمِ

فقام حسّان فقال :

مَنَعْنا رسولَ الله من غَضَبٍ له على أنْفِ راضٍ من مَعـدٍّ وراغِمِ
هل المجدُ إلا السُّودَدُ الفَرْد[٤] والنَّدَى وجاهُ[٥] المُلوكِ واُحتمال العَظائم

فقال الأقرع بن حابس : والله إنّ هـذا الرَّجلَ لَمُؤَتًّى له[٦] ، والله لشاعره أشعرُ من شاعرنا ، ولخَطيبه أخطبُ من خَطيبنا . فَنزل قولُه تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ . وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) . ثم إنَّ القوم أسلموا وأقاموا عنـد النَّبىّ صلّى الله عليه وسلّم يتعلّمون القُرآن ويَتفقّهون فى الدِّين ، ثم أرادوا الخُروج إلى بُيوتهم ، فأعطاهم رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم وكساهم وقال : أما بَقِى منكم أحدٌ ؟ وكان عَمرو بن الأهتم فى رِكابهم . فقال قيسُ بن عاصم ، وكان من رَهْطه وكان مُشاحناً له : لم يَبْق إلا غُلام حديثُ السِّن فى ركابنـا . فأعطاه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مثل ما أعطاهم . فبلغ عمرواً ما قال قَيسٌ . فقال عمرو لقيس :

ظَلِلْتَ مُفْـترشَ الهَلْبـاء[٧] تَشْتُمنى عنـد الرَّسول فلم تَصْـدُق ولم تُصِبِ

(١) فى الديوان : « فإنهم » .
(٢) شمعوا : مزحوا .
(٣) دارم : أبوحى من تميم .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « العود » وهو القديم .
(٥) فى الأصل : « وجار » .
(٦) مؤتى له : ميسر له مسهل . (٧) الهلباء : الاست .

إنْ تُبغضونا فإنّ الرُّوم أصْلُكمُ والرُّوم لا تملك البَغْضاء للعَرَب
فإنّ سُؤْدَدَنا عَوْدٌ وسُؤْددكم مُؤخَّر عند أصل العَجْبِ[1] والذَّنب

ما كان بين جهجاه وفتية من الأنصار وشعر حسان

وذُكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا غزا بنى المُصْطلِق[2] من خُزاعة، كان فى أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رجلٌ من بنى غِفار يقال له: جهْجاه، فخرج بفَرسٍ لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفرسٍ له يومئذٍ يَسقيهما، فأوردهما الماء، فوَجد على الماء فِتْيةً من الأنصار، فتنازَعوا عليه فاقْتتلوا، فقال عبدُ الله ابن أُبَىّ بن سَلُول المُنافق: هذا ما جَزَوْنا به، آوَيناهم ثم هم يُقاتلونا!

قلت: وفى هذه الوَقعة يقول عبد الله بن أُبىّ - لعنه الله -: (لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ). وبلغ ذلك رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم، فأشار عمر بن الخطّاب رضى الله عنه على رسول الله صلّى الله عليه وسلم بضَرْب عُنُق عبد الله، فأبى ذلك رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم.

قال أبو الفَرج:

وبلغ حَسّانَ بن ثابت الذى جرى بين جَهجاه والفِتْيـة من الأَنصار فغضب وقال، وهو يريد المهاجرين من القبائل الذين قَدموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ومنهم صَفْوانُ بن مُعطِّل السُّلَمى:

أَمسى الجَلابيبُ قد عَزُّوا وقد كَثُروا وابْنُ الفُرَيعـة أَمسى بيضةَ[3] البَـلَدِ

(١) العجب: أصل الذنب.

(٢) اسمه جذيمة بن سعد. ولقب المصطلق لحسن صوته.

(٣) الجلابيب: سفلة الناس. وكان المنافقون يسمون المهاجرين: الجلابيب. وابن الفريعة، هو حسان بن ثابت. وبيضة البلد، كما يراد بها المدح يراد بها الذم. فعلى الأولى فالمراد بها بيضة الظليم لأنه يحضنها ويقيها وفيها فرخه. وعلى الثانى، فالمراد بها البيضة المنبوذة بالعراء التى لا حائط لها. وقيل: إذا كانت النسبة إلى مثل المدينة ومكة فبيضة البلد مدح، وإذا نسب إلى بلد أهلها على ضعة، فهو على الذم.

يَرْمُون بالقَول سِرًّا فى مُهادنةٍ ... تَهدُّدًا لِى كأنِّى لستُ من أحد
قد ثَكِلتْ أُمُّه مَن كنتُ صاحبَه ... أو كان مُنْتشباً فى بُرْثُن الأسد
ما للقتيل الذى أَسْمُو فأَقْتُلُه ... مِن دِيةٍ فيه أُعطيها ولا قَوَد
ما البحرُ حين تَهُبُّ الرِّيحُ شامِيةً ... فَيَغْطئِلّ ويَرْمِى العَبْرَ(١) بالزَّبَد
يوماً بأَبلغ(٢) منِّى حين تُبصرنى ... أَفْرِى من الغَيْظ فَرْى العارض البَرِد
أمَّا قُرَيشٌ فإنِّى لستُ تاركَهم ... حتى يُنيبوا من الغَيَّاتِ للرَّشَد
ويَتْرُكُوا اللَّاتَ والعُزَّى بمَعْزِلَة ... ويَسْجُدوا كُلُّهم للواحد الصَّمَد
ويَشْهدوا أنَّ ما قال الرسولُ لهم ... حقٌّ ويُوفُوا بعَهدِ الله فى(٣) سَدَد
أَبْلِغ بَنِىَّ بأَنِّى قد تركتُ لهم ... مِن خَيْر ما يَتْرُك الآباءُ للوَلَد
الدارُ واسطةٌ والنَّخْل شارعةٌ ... والبِيضُ يَرْفُلن فى القَسِّىِّ(٤) كالبَرَد

فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : يا حسّان ، نَفِسْتَ علىّ إسلامَ قَومى ! وأَغضبه كلامُه .

وحسّان أحدُ أهل الإفْك الذين رَمَوا عائشة رضى الله عنها .

تعقيب لابن واصل عن الإفك

قلت : كانت قِصة الإفك فى هذه الغَزاة ، وكانت عائشة رضى الله عنها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيها ، وكان قد وقع عِقْدٌ لها فذَهبت تطلُبه ، فرحل الجيش وحَملها الذى عليه هودجُها وظَنَّ أنها فيه . فلما وجدت العِقْد جاءت تطلُب هودجَها فوجدته قد ذَهب ، ووجدها صَفوان بن المُعطِّل السُّلمى ، فأَناخ لها جَمله وأَدار وجهه عنها حتى ركبتْه ولحق بها الجيشَ . فقال أهلُ الإفك ما قالوا من

(١) يغطئل : يركب بعضه بعضا . والعبر : الساحل .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « بأغلب »
(٣) السدد : القصد .
(٤) القسى : ثياب من كتان مخلوط بحرير ، منسوبة إلى قرية كانت على ساحل البحر قريبة من تنيس ، بمصر .

الإفك . والذى تولّى كِبْره منهم عبدُ الله بن أُبَىّ . فأنزل الله سبحانه براءتها من السماء بآياتٍ من القرآن ، وهى (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ) الآيات . فغضب صَفوانُ لِما قَذفه به حسّان ، ولهذه الأبيات .

غضب الرسول على حسان ثم رضاؤه عنه

قال أبو الفَرج :

فعَدا[1] صفوانُ بن المُعطِّل على حسّان فضَربه بالسَّيف . وقال صفوان :

تَلقَّ ذُبابَ السّيف عنِّى[2] فإننى غلامٌ إذا هُوجيتُ لستُ بشاعرِ

فوثب قومُ حسّان على صَفوان فحبَسوه ، ثم جاءوا سعدَ بن عُبادة بن دُليم ابن حارثة بن أبى حَزِيمة بن ثعلبة بن طَرِيف بن الخَزْرج بن ساعدة بن كَعْب ابن الخَزْرج بن حارثة بن ثَعلبة بن عمرو بن عامر ، فذكروا له ما فعل حسّان وفعلوا به . فقال لهم : أشعرتُم[3] بذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؟ قالوا : لا . فقَعد إلى الأرض وقال : وانقطاعَ ظَهراه ! تأخذون بأيديكم ورسولُ الله صلّى عليه وسلّم بين ظَهْرانَيْكم ! ودعا بصَفْوان ، فأُتى به ، فكساه وخلاّه . فجاء صفوان إلى النبىِّ صلّى الله عليه وسلّم . وقيل : إنَّ النبىَّ صلّى الله عليه وسلّم دخل المسجدَ ليصلِّى فرآه فقال : مَن كساك كساه الله من ثياب الجنة ! وقال حسّان لأصحابه : أحملونى إلى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أترضّاه . ففعلوا . فأعرض عنه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فردّوه . ثم سألهم ، فحملوه ثانيةً . فأعرض عنه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم . فانصرفوا به . ثم قال لهم : عُودوا بى على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فقالوا : جئنا بك مَرّتين ، كُلُّ ذلك يُعْرض عنك ، فلا نُبْرمه بك . فقال : أحملونى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فغدا » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « عنك » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « أشاورتم فى ذلك » .

إليه هـذه المرةَ . فحملوه . فأعرض عنـه رسولُ الله صلّى الله عليه وسـلّم ، فقال : يا رسولَ الله ، بأبى أنت وأمى ! أحفظ قولى :

هجوتَ مُحمداً فأجبتُ عنه ... وعند الله فى ذاكَ الجزاء

فإنّ أبى ووالدَه وعِرْضى ... لِعِرْض محمّـد منكم وِقَاء

فرضى عنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ووَهب له سِيرينَ القِبْطيّة ، أُخت مارية ، أُم إبراهيم ، ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فولدت سيرينُ لحسّان عبدَ الرحمن بن حسّان .

تعقيب لابن واصل

قلت : إنّ مارية وأُختها سيرين أَهداهما المُقوقس جُرَيج بن مَتَّى صاحبُ مِصر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما كتب إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام ، وأَهدى معهما له حمارَه « يَعْفور » و بَغْلته « دُلْدل » .

لعائشة عن صفوان

قال أبو الفرج :

وكانت عائشةُ رضى الله عنها تقول : لقد سُئِل عن صَفوان بن المُعطّل فوجدوه رجلاً حَصُوراً ما يأتى النّساء ، ثم قُتل بعد ذلك شهيداً .

لحسان يعتذر عن قوله فى عائشة

وقال حسّان يَعتذر مِن الذى قاله فى عائشة رضى الله عنها :

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بِريبةٍ ... وتُصْبح غَرْثَى من لُحوم الغَوَافِلِ

فإن كنتُ قد قلتُ الذى قد زعمتُمُ ... فلا رفعتْ سَوْطى إلىّ أَنامِلى

وكيف ووُدِّى ماحَييتُ ونُصْرَتى ... لِآلِ رسـول الله زَيْن المَحافل

وإنّ الذى قد قيل ليس بِلَائِطٍ ... ولـكنّه قولُ امرىء بى(١) ماحِل

بين عروة وعائشة وقد مرت جنازة حسـان

وحَكى عُروة بن الزُّبير قال :

كنت قاعداً عند عائشة فمُرَّ بجنازة حسَّان بن ثابت فنِلْتُ منه . فقالت :

(١) لائط : لا ئق . وماحل : ساع .

مهـــلاً . فقلتُ : أليس الذى يقول فيكِ ويقُول ! قالت : فكيف بقوله :

فإنّ أبى ووالدَه وعِرْضى لعِرْضِ محمـد منكم وِقَاء

ورُوى عنها رضى الله عنها أنها كانت تقول : إنى لأرجو أن يُدخله الله الجنة بقوله هذا .

صفية وحســان فى يهودى أطاف بالحصن

وقيل :

كانت صفيّة بنت عبد المُطّلب فى فارع ، حِصْن حسان بن ثابت ، يوم الخَنْدق . قالت صفيةُ رضى الله عنها : وكان حسّان معنا فيه مع النِّساء والصِّبيان ، فمرّ بنا رجلٌ من اليهود ، فجعل يُطيف بالحِصْن ، وقد حاربتْ بنو قُريظة وقَطعت ما بينها و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا و بينه أحدٌ يدفع عنّا ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى نُحور عدوِّهم لا يَستطيعون أن يَنْصرفوا إلينا عنهم ، إذ أتانا آتٍ . قالت : فقلت : يا حسان ، إنّ هـذا اليهودى كما ترى يُطيف بالحِصْن ، و إنِّى والله ما آمنُه أن يدُلّ على عَوْراتنا مَن وراءنا من اليهود ، وقد شُغل عنّا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما تَرى وأصحابُه ، فانْزل إليه فاقْتله . فقال : يَغْفر الله لك يا بنت عبد المُطلب ، لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا . قالت : فلما قال ذلك ، ولم أر عنده شيئاً ، اعتجرتُ[1] ثم أخذتُ عوداً ثم نزلتُ من الحصن إليه ، فضربتُه بالعمود حتى قتلتُه ، فلما فرغتُ منه رجعتُ إلى الحِصن فقلت : يا حسّان ، انْزل إليه فاسلُبْه فإنه لم يَمنعنى من سَلْبه إلا أنه رجل . فقال : مالى بسَلْبه حاجةٌ يا بنت عبد المُطلب .

وحدّث عبدُ الله بن الزُّبير بن العوّام أنه كان فى فارع ، أُطُم حسّان بن ثابت يوم الخندق ، ومعهم عُمَرُ بن أبى سَلمة . قال ابن الزُّبير : ومعنا حسّـان بن ثابت

(١) الاعتجار : لف الثوب على الرأس من غير إدارة تحت الحنك .

ضارباً وَتِداً فى ناحية الأُطم ، فإذا حَمل أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المُشركين حَمل على الوَتِد فضَربه بالسَّيف، فإذا أَقْبل المُشركون انْحاز عن الوَتِد حتى كأنه يُقاتل قِرْناً له ، كأنه يرى أنه يُجاهد حين جَبُن .

ابن الزبير وابن أبى سلمة يوم الخندق

قال ابنُ الزُّبير : وإنى لأَظْلم ابن أبى سَلمة وهو أكبر منِّى بسنَتين، فأقول له : تَحملنى على عُنقك حتى أنظر، فإنى أحملك إذا نزلتُ . فإذا حَملنى وسألنى أن يركب قلتُ : هذه المرّة أيضاً .

تعقيب لابن واصل

قلت : كان سنّ ابن الزُّبير يومئذٍ نحو خمس سنين ، لأن مولده بعد الهجرة ، وكانت غزوة الخندق سنة خَمس .

قال أبو الفرج :

قال ابنُ الزُّبير : وإنى لانظُر إلى أبى مُعْلَماً بصُفْرة ، فأخبرتُها أبى بعدُ ، فقال : أين كنتَ حينئذٍ ؟ فقلت : على عُنق ابن أبى سَلمة يَحْملنى . فقال : أمَا والذى نَفْسى بيده ، إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجمع لى أبَويْه[1] .

قال ابنُ الزُّبير : وجاءنا يهودىّ يَرْتقى إلى الحِصْن ، فقالت صَفيّة له : أعطنى السَّيف . فأعطاها . فلما ارتقى ضربته حتى قتلته ، ثم أخذت رأسه وقالت : طَوِّح به ، فإن الرَّجل أشدُّ من المرأة ، تُريد أن تُرْعِبَ به أصحابَه .

ضحك الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أنشده حسان

وقيل : أنشد حسانُ بن ثابت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم :

لقد غدوتُ أمامَ القومِ[2] مُنْطلقاً ... بصارمٍ مثل لون المِلْح قَطَّاعِ

يُميط عنِّى نِجَادَ السَّيفِ سابغةٌ ... فَضْفاضةٌ مثل لَون النَّهْى[3] بالقَاع

(١) يعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول لى : فداك أبى وأمى .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « منتطقا » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « يدفع » مكان « يميط » . والسابغة : الدرع . والنهى : الغدير .

فضحك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فظنّ حسّان أنه يَضْحك من صِفته نَفْسَه مع جُبْنه .

بين الحطيئة وحسان

وقيل :

وقف الحُطيئة على حسّان بن ثابت ، وحسّان يُنشد من شعره ، فقال له حسانُ ، وهو لا يعرفه : كيف تَسمع هذا الشعر يا أعرابىّ ؟ قال الحُطيئة : لا أرى به بأساً . فغضب حسّان وقال : أسمعوا إلى كلام الأعرابىّ ! ما كُنيتك ؟ قال : أبو مُليكة . قال حسّان : ما كنتَ قطُّ أهونَ علىَّ منك حين اُكتنيتَ باُمرأة ! فما اُسمك ؟ قال : الحطيئةُ : قال اُمْضِ بسلام .

شعر حسان الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغِناء واُفتتح به أبو الفَرج أخبار حسّان ، هو :

تَبَلتْ فُؤادَكَ فى المَنام (١) خَريدةٌ تَشْفِى الضَّجيعَ ببـاردٍ بَسّامِ
كالمِسْك تَخْلِطُه بماء سَحابةٍ أو عاتِقٍ (٢) كدَمِ الذَّبيح مُدام

وهذه القصيدة يقولها حسّان بن ثابت فى وَقعة بدر ، ويَفْخر بها ، ويُعيِّر الحارثَ اُبن هشام المَخزومىّ بفراره عن أخيه أبى جهل بنِ هشام :

ترك الأحبّةَ أن يُقاتل دُونهم ونَجا برأس طِمِرَّةٍ (٣) ولِجام

فأجابه الحارثُ بن هشام ، وهو يومئذٍ مُشرك :

الله يعلم ما تركتُ قِتـالَهم حتى عَلَوْا فَرسِى بأَشْقر (٤) مُزْبِدِ
وشَممتُ رِيح الموت من تِلقائهم فى مأزِقٍ والخيـلُ لم تَتبدَّد
وعلمتُ أنِّى إن أُقاتل واحـداً أُقْتلْ ولا يَضُرُرْ عدوِّىَ مَشْهدى

ثم استطرد أبو الفَرج بذكر غَزوة بدر ، فنَذكرها على سياقتها ، لما فيها من الفوائد .

(١) تبلت : أسقمت . والخريدة : الحيية .
(٢) عاتق ، أى خمر قديمة .
(٣) الطمرة : الأنثى من الجياد المستفزة للوثب والعدو .
(٤) الأشقر : الدم صار علقا .

غزوة بدر

كانت فى رمضان يوم الجمعة لسبعَ عشرةَ ليلةً مضتْ من رمضان ، سنة اثنتين من الهجرة ، وهى أول حَرب حَضرها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وهى الغَزاة التى أعزَّ الله بها الدِّين وأعلى كلمة المُؤمنين .

قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبى سُفيان صخر بن حَرب مُقْبلاً من الشأم بعِيرٍ عظيمة ، فنَدب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المُسلمين إليها ، وقال : هذه عِيرُ قُريش فيها أموالُهم ، فاُخرجوا إليها فلعلّ الله أن يُنَفِّلكموها[1] . فاُنتدب الناسُ ، فخفّ بعضُهم وثَقُل بعضٌ ، وذلك أنهم لم يظُنُّوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يَلْقى حرباً .

وكان أبو سُفيان اُستنفر[2] حين دنا من الحجاز ، وجعل يَتجسَّس الأَخبارَ ويسأل مَن لَقِى من الرُّكبان تخوفاً على أموال الناس ، حتى أصاب خبراً من بعض الرُّكبان أنّ محمداً قد اُستنفر أصحابَه لكَ ولِعيرك ، فجدَّ عند ذلك واُستأجر ضَمضم بن عمرو الغِفارىّ ، فبعث به إلى مكة وأمره أن يأتى قُريشاً يَستنفرهم إلى أموالهم ، ويُخبرهم أنّ محمداً قد عَرض لها فى أصحابه . وكانت عاتكةُ بنت عبد المُطلب قد رأت قبل قُدوم ضَمْضم رُؤيا أفْزعتها ، فبعثتْ إلى أخيها العبّاس بن عبد المُطّلب وقالت : يا أخى ، قد رأيتُ الليلةَ والله رُؤيا قد أفزعتْنى وتخوّفتُ أن يدخُل بها على قومك شرٌّ أو مُصيبة ، فاكتُم علىّ ما أُحدّثك . قال لها : ما رأيتِ ؟ قالت : رأيت راكباً قد أقبل على بعيرٍ له حتى وقَف بالأَبطح ، ثم صَرخ بأَعلى صوته : أن

(١) ينفلكموها : يجعلها لكم غنيمة .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « استقدم » .

أنفروا يا آل غُدَرَ[١] إلى مَصارعكم، فى ثلاث . وأرى الناس قد اجتمعوا إليه . ثم دخل المسجدَ الحرام ، والناسُ يتبعونه ، فبينما هم حولَه إذ مَثَل به بعيرُه على ظهر الكعبة ، ثم صَرخ بأعلى صوته بمثلها : أنفروا يا آل غُدَر إلى مصارعكم ، فى ثلاث . ثم مَثَل به بعيرُه على أبى قُبيس ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صَخرة فأرسلها ، فأقبلتْ حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفَضَّت[٢] تَهْوِى ، فما بقى بيتٌ من بُيوت مكة إلا دخلتْه منها فِلْذة[٣] . قال العبّاس : إن هذه لَرُؤيا عجيبة ، فأنت فاكتُميها ولا تُظْهريها لأحد . ثم خَرج العبّاس فلَقى الوليد بن عُتبة ، وكان صديقاً له ، فذكرها له واستكتمه إيّاها . فذكرها الوليد لأبيه عُتبة . ففَشا الحديثُ حتى تحدّثت به قُريش . قال العبّاس : فغدوتُ أطُوف بالبيت ، وأبو جهل بن هشام ورَهْطٌ من قريش يتحدّثون برُؤيا عاتكة ، فلما رآنى أبو جهل قال : يا أبا الفَضل ، إذا فَرَغْتَ من طوافك فأقْبل إلىّ . فلما فرغتُ أقبلتُ إليه حتى جلستُ معهم . فقال لى أبو جهل : يا بَنى عَبد المطلب ، متَى حَدَثت فيكم هذه النَّبيَّة ؟ قال : قلت : وما ذاك ؟ قال : الرُّؤيا التى رأت عاتكةُ . قال : قلت : وما رأتْ ؟ قال : يا بَنى عبد المطلب ، أما رضيتُم أن يتنبَّأ رجالُكم حتى تنبَّأت نساؤُكم ! وقد زعمت عاتكةُ فى رؤياها أنه قال : أنفروا ، فى ثلاث . فستَتربّص بكم هذه الثلاث ، فإنْ يَكُ حقًّا ما قالت فسيكون ، وإن تَمض الثلاثُ ولم يكن من ذلك شىء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذبُ بيت فى العرب . قال العبّاس : فوالله ما كان منّى إليه نَكير ، إلا أنّى جحدتُ ذلك وأنكرتُ أن تكون رأتْ شيئاً . ثم تفرّقنا ، فما بقيتْ امرأة من بنى عبد المُطلب إلا أتَتْنى فقالت : أقررتُم لهذا الفاسق الخبيث

(١) غدر : من غادر ، للمبالغة ، وأكثر مايستعمل فى النداء فى الشتم . تقول للمفرد : ياغدر . وللجمع : يا آل غدر .

(٢) ارفضت : تكسرت و تفرقت .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « فلقة » .

أن يقع فى رجالكم ثم يتناول النِّساء وأنت تسمع ، ثم لم يكُن عندك غيرةٌ لِمَا تسمع ! قال : قد والله فعلتُ ما كان منّى إليه من نُكر[1] ، وأيم الله لأتعرّضن له ، فإن عاد لأَكْفِيكُموه[2] . قال : فغدوتُ فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حَدِيدٌ مُغْضَب أرى أن قد فاتنى منه أمرٌ أُحِب أن أُدْرِكه منه . فدخلتُ المسجد فرأيتُه . فوالله إنّى لأمشى نحوه أتعرّضه ليعود لبعض ما قال فأَقَعَ[3] به ، وكان رجلاً خَفيفاً حَدِيدَ الوجه حديد اللسان حديد النظر ، إذ خَرج نحو باب المسجد يشتدُّ ، فقلت : ماله لَعنه الله ! أكُل هذا فرقاً منِّى أن أُشاتمه ! فإذا هو قد سَمع ما لم أسمعْه : صوتَ ضَمضم الغِفارىّ وهو يصرُخ ببطن الوادى : يا معشر قُريش ، اللَّطيمة[4] ! اللَّطيمة ! أموالكم ! أموالكم ! قد تعرّض لها محمد فى أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ! الغوث ! الغوث ! قال : فشغلنى عنه وشَغله عنّى ما جاء من الأمر . فنَفر الناسُ سراعاً وقالوا : لا يظُنُّ محمدٌ وأصحابُه أن تكون كعِير ابن الحَضرمى[5] ! كلا والله ! ليعلمُنَّ غير ذلك . فكانوا بين رجلَيْن : إما خارج أو باعث . وأوعبتْ قريشٌ فلم يتخلَّف من أشرافها أحدٌ إلا أبو لهب بن عبد المطلب ، فبعث مكانه العاصَ بن هشام . وكان أُمية بن خَلف قد أجمع القُعود ، وكان شيخاً ثقيلاً ، فأتاه عُقبة بن أبى مُعَيط ، وهو جالس فى المسجد بين ظَهْرَانَىْ قومه ، بمِجْمرة فيها نارٌ ومِجْمر[6] حتى وَضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا علىّ ، استَجمر فإنما أنت من النِّساء . ولما أجمعت قريشٌ المسيرَ ذكرتْ الذى بينها و بين بنى بكر[7] ، فكاد

(١) فى بعض أصول الأغانى : «كبير» .

(٢) فى السيرة : «لأكفيكنه» . والكلام يتجه بهذا وذاك . فعلى رواية الأغانى فالمراد : آل عبد المطلب رجالا ونساء . وعلى رواية السيرة فالخطاب للنسوة اللاتى جئنه .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : «فأوقع به» . (٤) اللطيمة : العير عليها الطيب والتجارة .

(٥) هو عمرو بن الحضرمى . (٦) المجمر : العود يتبخر به .

(٧) كانت الحرب بين قريش وبين بنى بكر بن عبد مناة فى ابن لحفص بن الأخيف ، أحد بنى معيص بن عامر بن لؤى . قتله بنو بكر ، بإيعاز من سيدهم عامر بن يزيد . فثار للغلام أخوه مكرز بن عامر ابن يزيد ، قتله ثم أتى الكعبة فعلق السيف بأستارها . فلما أصبحت قريش ورأت السيف عرفت أنه سيف مكرز .

ذلك أن يُثَبِّطهم ، فتبدَّى لهم إبليسُ فى صُورة سُراقةَ المُدْلِجىّ ، وكان من أشراف كنانة ، فقال : إنِّى جارٌ لكم أن تأتيكم كنانةُ بشىء تكرهونه .

وخرج رسولُ صلّى الله عليه وسلّم فى أصحابه ، وكانوا ثلثمائة وثلاثةَ عشر : المُهاجرون منهم سبعة وسَبعون رجلاً ، والأنصار مائتان وستة وثلاثون رجلاً . وصاحبُ راية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه . وصاحب راية الأَنصار سعدُ بن عُبادة . وعلى الساقة قيسُ بن أبى صَعصعة ، أخو بنى مازن بن النَّجار . وكان خُروجه صلّى الله عليه وسلّم من المدينة لليالٍ مضتْ من شهر رَمضان . فسار حتى إذا كان قريباً من الصَّفراء بعث بَسبس بن عَمرو الجُهنىّ ، حليف بنى ساعدة ، وعدىّ بن أبى الزَّغْباء ، حليف بنى النَّجار، إلى بدر يتحسّسان له الأخبار . ثم أرتحل وقد قدّمهما . فلما أُستقبل الصَّفراء ، وهى قريةٌ بين جَبلين ، فسأل عن جبليها : ما اسماها ؟ فقيل : يقال لأحدهما : مُسْلِح ، وللآخر : مُخْرِىء . وسأل عن أهلها ، فقالوا : بنو النَّار ، و بنو حُرَاق — بَطْنان من بنى غِفار — فكرههما رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم والمُرورَ بينهما[1] تفاؤلاً باسميهما وأسماء أهليهما، فتركهما والصفراء بيَسارٍ، وسَلك ذاتَ اليمين على وادٍ يقال له : ذَفِران[2] . فخرج منه، حتّى إذا كان ببعضه نَزل. وأتاه الخبرُ عن قُريش بمَسيرهم ليمنعوا عِيرَهم . فاستشار رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الناس ، وأخبرهم عن قُريش . فقام أبو بكر رضى الله عنه فقال فأحسن . ثم قام عُمر رضى الله عنه فقال فأحسن . ثم المِقدادُ بن عمرو رضى الله عنه فقال : يا رسول الله ، أُمض لِمَا أمرك الله ، فوالله لا نقول لك ما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام : (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) ، ولكن أذهب أنت وربُّك فقاتلا

(١) التفاؤل ، فيما يحسن ويسوء .
(٢) الذفران : واد قرب الصفراء .

إنا معكما مُقاتلُون . فوالذى بَعثك بالحقِّ لو سِرْتَ بنا إلى بَرْكِ الغِماد — يعنى مدينة الحبشة — لجالَدْنا معك من دونه حتى تَبْلُغه . فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له . ثم قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أشيروا علىّ أيها الناسُ. و إنما يريد الأنْصار . وذلك لأنهم كانوا عددَ الناس ، ولأنهم حين بايعوه على العَقبة قالوا : يا رسول، الله إنّا بُرآء من ذِمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلتَ إلينا نمنعُك ممّا نَمنع منه أبناءنا ونِساءنا . فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يتخوّف ألا تكون الأَنصار ترى عليهم نُصرته إلّا ممّن دَهَم المدينةَ من عدوّه ، وأن ليس عليهم أن يسيرَ بهم إلى عدوّ فى غير بلادهم . فلما قال ذلك رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم قال له سعدُ بن مُعاذ ، رضى الله عنه : والله لكأَنك تُريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل . قال : فإنّا قد آمنّا بك وصدّقناك وشَهدنا أن ماجئتَ به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عُهودنا ومواثيقَنا على السَّمع والطَّاعة . فامْضِ بنا يارسولَ الله لما أردتَ، فوالذى بَعثك بالحق لو اُستعرضت بنا هذا البحر فخُضته لَخضناه معك، ما تخلَّف منّا رجل واحد ، وما نكره أن تَلقى بنا عدوّنا غداً ، و إنا لصُبر عند الحرب ، صُدُق عند اللقاء ، لعلّ الله أن يُرِيك ما تَقرّ به عينُك ، فسِرْ بنا على بركة الله . فسار رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ونَشَّطه ذلك القول ، ثم قال : سيروا على بركة الله وأَبْشروا ، فإن الله عزّ وجل قد وَعدنى إحدى الطَّائفتَيْن ، والله لكأَنى أنظرُ إلى مَصارع القوم الآن . ثم اُرتحل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من ذَفِران ، فَسلك ثَنايا يُقال لها : الأَصافر[1] ، ثم اُنتهى به السيرُ إلى قَريبٍ من بَدر ، فنزل وركب هو ورجلٌ من أصحابه حتّى وقَف على شيخ من العَرب ، فسأله عن قُريش وعن محمّد وأصحابه وما بلغه عنهم . فقال الشيخ : لا أُخبركما حتى تُخبرانى من أنتما . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتَنا

(١) الأصافر : جبال قرب الجحفة .

أَخبرناك. قال : أوذاك بذاك ؟ قال : نعم . قال الشيخ : فإنه بلغنى أن محمداً وأصحابَه خَرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذى أخبرنى صَدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وإنّ قُريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذى أخبرنى صَدقنى، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، يعنى المكان الذى به قُريش . فلما فَرغ من خَبره قال : من أنتما ؟ فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلم : نحن من ماء . ثم انصرف عنه . قال : يقول الشيخ : ما من ماء ! أم من ماء بالعراق ؟

ثم رَجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، فلما أَمسى بعث علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه ، والزُّبير بن العوّام ، وسَعد بن أَبى وقّاص ، فى نفر من أصحابه إلى بدر يكشفون له الخبر ، فأصابوا راوية[1] لقُريش، فيها أَسْلَمُ، غُلام بنى الحجّاج ، وعَريضُ بن يسار[2] ، غلام بنى العاص بن سَعيد ، فأَتَوْا بهما رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالا: نحن سُقاة لقُريش. فضَربوهما ، فلما[3] أَذْلقوهما قالا : نحن لأَبى سُفيان . فتركوهما . فركع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وسجد ، ثم سَلّم فقال : إذا صَدقاكم ضربتُموهما ! وإذا كذبا كم تركتُموهما ! صَدقا كم والله إنهما لقُريش ! أخبِرانى: أين قُريش ؟ قالا : هُم وراء الكَثيب الذى ترى بالعُدْوة القُصْوى ـ والكَثيب : العَقَنقل ـ فقال رسول الله صلّى عليه وسلّم : كم القوم ؟ قالا : كثير . قال : ماعِدَّتهم ؟ قالا : لا نَدرى . قال : كم يَنْحرون كُلَّ يوم ؟ قالا : يوماً تِسعاً ويوماً عشراً . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : القوم ما بين التِّسعمائة إلى الألف . ثم قال لهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فمَن فيهم من قُريش ؟ قالا : عُتبة بن رَبيعة ، وشَيبة بن ربيعة ، وأبو البَختريّ بن هشام ،

(١) الراوية : القوم الذين يستقون الماء على الدواب .

(٢) فى السيرة لابن هشام والطبرى : «عريض أبو يسار» .

(٣) أذلقه : أضعفه وأقلقه .

وحَكيم بن حِزام، ونَوفل بن خُويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطُعيمة بن عَدىّ ، والنَّضر بن الحارث ، وزَمَعة بن الأسود ، وأبو جَهل بن هشام ، وأُميـة ابن خَلف ، ونُبيه ومُنَبِّه ، ابنا الحجّاج ، وسُهيل بن عمرو ، وعَمرو بن عبد وُدّ . فأقبل رسُولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على النّاس فقال : هذه مكة قد أَلقت إليكم أفلاذ كَبِدها ! وقد كان بَسْبس بن عمرو ، وعدىّ بن أبى الزَّغْباء مَضَيا حتى نَزَلا بدراً ، فأناخا إلى تَلٍّ قَريب من الماء، ثم أخذا شَنًّا[1] يَستقيان فيه، وعليه مجدىُّ ابن عَمرو الجُهنىّ ، فَسمع عَدِىٌّ و بَسبس جاريتَيْن من جوارى الحاضر وهما تَتلازمان[2] على الماء ، والمَلْزومةُ تقول لصاحبتها : إنما تأتى العِير غداً أو بعـده ، وأَعمل لهم ثم أَقْضيكِ الذى لك . قال مجدىّ : صدقتِ . ثم خَلَّص بينها . وسَمع ذلك بَسبسٌ وصاحبُه فجلسا على بعيرهما ، ثم انطلقا حتى أتَيا النَّبىَّ صلى الله عليه وسلم، فأخبراه بما سَمعا . وأقبل أبو سُفيان يقدُم العِير حَذراً حتى وَرد المـاء . فقال لمجدىِّ بن عمرو : هل أحسستَ أحداً ؟ قال : لا ، ما رأيتُ أحداً، إلّا أنّى رأيتُ راكبَيْن أناخا إلى هـذا التّل ، ثم استقيا فى شَنٍّ لهما ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مُناخَهما فأَخذ من أبعار بعيرَيْها ففتَّه فإذا فيه نَوًى . فقال : هذه والله عَلائفُ يَثْرب ! ورجع إلى أصحابه سريعاً . فضَرب وجه عِيره عن الطَّريق ، وتَرك بَدراً يساراً ، ثم انطلق حتى أَسرع . وأقبلت قُريش ، فلما نَزلوا الجحفة رأى جُهيم بن أبى الصَّلت بن مَخْرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف رُؤيا ، فقال : إنى رأيتُ فيما يرى النائمُ ، و إنى لبين النائم واليَقْظان ، إذ نظرتُ إلى رجل أقبل على فَرس حتى وَقف ومعه بعير له ثم قال : قُتل عُتبة بن ربيعة، وشَيبة بن ربيعة ، وأبو الحَكم بن هشام ، وأُمية بن خَلف ، وفلان وفلان ، يعَدِّد رجالاً ممن قُتل

(١) الشن : القربة الخلق الصغيرة .

(٢) أى تعلقت إحداهما بالأخرى .

يومئذ من أشراف قُريش . ورأيتُه قد ضَرب فى لَبَّة[1] بعيره ، ثم أرسله فى العَسكر ، فما بَقِى خِباءٌ من أخبية العسكر إلا وأصابه نَضْحٌ من دمه . و بلغتْ أبا جهل ، فقال : وهذا أيضاً نبيٌّ آخر من بَنى عبد المطلب ! سيعلم غداً من المَقتول إن نحن ٱلتقينا ! فلما رأى أبو سُفيان أنه قد أَحرز عِيَره ، أرسل إلى قُريش : أنتم إنما خرجتم لتَمنعوا عِيركم ورِحالَكم وأَموالكم ، وقد نَجَّاها الله ، فٱرجعوا . فقال أبو جهل ، لَعنه الله : والله لا نَرجع حتى نَرد بدراً ـ وكانت بَدْر موسماً من مواسم العرب تَجتمع فيها فى كُل سنة ـ نُقيم عليها ثلاثاً ونَنْحر الإبل ، ونُطعم الطعام ، ونَسقى الخمر ، وتَعزف علينا القِيان وتَسمع بنا العرب ، فلا يزالون يَهابُوننا ، فامضُوا. فقال الأخنس بن شَريق بن عمرو الثَّقفى ، وكان حليفاً فى بنى زُهرة ، وهم بالجُحْفة : يا بنى زُهرة ، قد نَجَّى الله عِيرَكم وخَلَّص لكم صاحبَكم مَخْرمة بن نَوْفل ، و إنما خَرجتم لتَمنعوه ومالَه ، فٱرجعوا فلا حاجةَ لكم فى أن تَخْرجوا فى غير ضَيْعة لما يقول هذا — يعنى أبا جهل — فرجعوا ، فلم يَشْهدها زُهرىّ واحد . وكان فيهم مُطاعاً، فرجعتْ بنو زُهرة مع الأَخنس . ولم يَشهدها من بنى عدىّ إلا رجل واحد. وأمّا سائر البطون فخَرج من كُل بَطن ناسٌ ، وطالبُ بن أبى طالب أخو علىّ رضى الله عنه ، قيل : إنه رَجع ، وقيل : إنه شَهدها مُكْرهاً ، وعُدم يومئذ فلم يُوجد فى القتلى ولا الأَسرى ولا رَجع إلى أهله ، وكان شاعراً ، وهو الذى يقول :

يا ربِّ إمّا يَغْزُونّ طالبْ ... فى مِقْنَبٍ[2] من هذه المَقانبْ

فليكن المَسْلوبَ غيرَ السالبْ ... وليكن المغلوبَ غيرَ الغالب

ونزلت قُريش بالعُدْوة القُصوى ، و بَعث الله سُبحانه السَّماء ، وكان الوادى دَهْساً[3] . فأَصاب رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ما لبّد لهم الأرض فلم يَمنعهم

(١) اللبة : المنحر. (٢) المقنب : الجماعة من الخيل والفرسان .

(٣) الدهس : الأرض السهلة يثقل فيها المشى .

المسيرَ . وأصاب قريشاً منه ما لم يقدِروا معه على المَسير . وخَرج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم يُبادرهم إلى الماء، حتى إذا حاذَى أدنى ماء من بَدْر نَزل فيه . فقال الحُبَاب ابن المنـذر بن الجموح : يا رسول الله ، أرأيت هـذا المنزل ؟ أمنزلٌ أنزلكه الله عزّ وجلّ وليس لنا أن نتقدَّمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى فى الحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأىُ فى الحرب والمكيدة . قال : يا رسول الله ، إن هذا ليس بمَنزل، فانهض بالنّاس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فتَنْزِله . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرتَ بالرأى . ونَهض صلى الله عليه وسلم ومَن معه مِن الناس حتى أَتى أدنى ماء من القوم ، فنزلوا عليه . ثم أمر بالقُلُب فعُوِّرت[1]، و بنى حَوضاً على القَليب الذى نَزل عليه فمُلئ ماء ، ثم قذفُوا فيه الآنية . وقال سعد ابن مُعاذ رضى الله : يا رسول الله ، أنَبْنى لك عَريشاً من جَريد فتكونَ فيه، ونُعدّ لك رَكائبك ثم نَلقى عدوَّنا ، فإن نحن أعزَّنا الله وأظهرنا على عدوِّنا كان ذلك ما أَحببنا ، و إن كانت الأُخرى جلستَ على ركائبك فلحقتَ بمن وراءنا من قومنا ؟ فقد تخلَّف عنك أقوامٌ يا نبىّ الله ما نحن بأَشدَّ حُبًّا لك منهم ، ولو ظنُّوا أنك تَلقى حرباً ما تخلَّفوا عنك ، يَمنعك الله بهم فيُناصحونك و يجاهدون معك . فأثنى عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم خيراً ودعا له بخير . ثم بُنى لرسول الله صلّى الله عليه وسلم عَريشٌ فكان فيه . وقد ارتحلت قُريش حتى أَصبحتْ وأقبلتْ ، فلما رآها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم تَصوَّب من العَقَنْقل — وهو الكَثيب الذى منه جاءوا — إلى الوادى ، قال : اللهم هذه قُريش قد أَقبلت بخُيلائها وفَخْرها تُحادُّك وتكذِّب نبيَّك ورسُولَك ، اللهم فَنصرَك الذى وعدتَنى ، اللهم فأحِنْهم[2] الغداةَ . وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وقد رأى عُتبة بن رَبيعة مع

(١) القلب : الآبار . الواحد : قليب . وعورت : ردمت وطمرت .
(٢) أحنهم : أهلكهم .

القوم على جمل له أحمر : إن يكن عند أحد من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر ، إن يُطيعوه يَرْشدوا . فلما نزل أقبل نَفرٌ من قُريش حتى وردُوا حَوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم حَكيم بن حِزام على فَرس له . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : دعُوهم . فما شَرب منهم رجلٌ إلاّ قُتل يومئذ ، إلا حكيم بن حِزام فإنه لم يُقتل ، نَجا على فَرسٍ له يُقال له : الوَجيه، وأَسلم بعد ذلك وحَسُن إسلامُه . وكان إذا اُجتهد فى يَمينه قال : والذى نجّانى يومَ بدر . ولمّا اُطمأن القومُ بعثوا عُمير بن وَهْب الجمحىّ فقالوا له : اُحزُر[1] لنا أصحاب محمد . فاُستجال بفَرسه حول العسكر ثم رَجع إلى القوم ، فقال : ثلثمائة رجل ، يزيدون قليلاً أو ينقصونه . ولكن أمهلونى حتى أنظُر : هل للقوم كَمين أو مَدد ؟ فضَرب فى الوادى حتى أَمعن فلم ير شيئاً ، فرجع إلى القوم وقال : إنِّى لم أَرَ مدداً ، ولكنِّى يا معشر قُريش قد رأيتُ الوَلَايَا[2] تحمل المَنايا ، نَواضِح يَثْرب تَحمل الموتَ الناقع ، قوم ليس لهم مَخلص ولا ملجأ إلا سيوفُهم، والله ما أُرى رجلاً منهم يُقْتَل حتى يقتل رجلاً منكم ! فما خَير العيش بعد ذلك !

فلمّا سَمع حَكيم بن حِزَام ذلك مَشى فى النـاس فأتى عُتبة بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد ، إنك كبير قُريش الليلة وسيِّدها والمُطاع فيها ، هل لك إلى أمر لا تزال تُذكر منه بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : تَرجع بالناس وتَحمل دَم حليفك عمرو بن الحَضْرمى . قال : قد فعلتُ ، أنت علىّ بذلك شهيد . إنما هو حليفى فعلىّ عَقْلُه[3] ، وما أُصيب من ماله ، فأْتِ اُبن الحَنْظلية فإنِّى لا أَخْشى أن يُفسد أَمر الناس غيرُه ، يعنى أبا جهل بن هشام . ثم قام عُتبة بن ربيعة خطيباً

(١) الحزر : التخمين والتقدير .
(٢) الولايا : البراذع . الواحدة : ولية .
(٣) العقل : الدية .

فقال : يا معشر قُريش ، إنكم والله ما تَصنعون بأن تَلْقَوا محمداً وأصحابه شيئاً، ولئن أصبتموه فلا يزال الرجُل ينظُر فى وجه الرَّجل يكره النَّظر إليه ، رجلٍ قتل ابنَ عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلُّوا بين محمـد وسائر العرب ، فإن أصابوه فذلك الذى أردتُم ، و إن كان غير ذلك ألفاهم ولم تَعدموا منه ما تُريدون . قال حَـكيم بن حِزام: فانطلقتُ أؤُمّ أبا جَهل بن هشام ، فوجدتُه قد نَثل[1] درعاً من جِرابها وهو يُهَيِّئُها ، فقلت له : أبا الحَـكم ، إن عُتبة قد أرسلنى إليك بكذا وكذا . قال : أنتفخ والله سَحْره حين رأى محمداً وأصحـابَه ، وما بعُتبة ما قال ، ولـكنه قد رأى محمداً وأصحابه أكلةَ جَزُور[2] ، وفيهم ابنُه ، فقد تَخوّفـكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحَضْرمىّ فقال : هذا حليفُك يريد أن يَرجع بالناس ، وقد رأيتَ ثأرك بعينك ، فقُم وانشُد خُفْرتك[3] ومقتَل أخيك . فقام عامر بن الحَضْرمىّ فاكتشف[4] ثم صاح : واعَمْراه ! واعَمْراه ! فحِيت الحربُ وحَقِب[5] أمرُ الناس واستَوْسقوا[6] على ما هم عليه من الشَّر . وأفسد أبو جهل على الناس الرأى الذى دعاهم إليه عُتبة بن ربيعة . فلمّا بلغ عُتبة قولُ أبى جَهل ، قال : سَيعلم مُصفِّر أستِه من أنتفخ سَحره ، أنا أم هو ؟ ثم ألتمس بيضةً يُدخلها فى رأسِه، فما وجد فى الجيش بيضةً تَسعه من عِظم رأسِه . فلما رأى ذلك اعتجر[7] على رأسِه بُبْرد ، ثم خَرج الأسْود بن عبد الأسَد المَخزومىّ ، وكان رجلاً شرساً سيِّىء الخلُق ، فقال : أُعاهد الله لأشربنّ من حوضهم أو لأهدمنّه أو لأموتن دونه . فلما خَرج عرض له حمزةُ ابن عبد المطلب رضى الله عنـه ، فلمّا ألتقيا ضَربه حمزةُ فأطَنّ[8] قدمه بنِصف ساقه ، وهو دون الحَوض ، فوقع على ظهره تشْخب رجلُه دماً . ثم حَبا إلى الحوض

(١) نثل : أخرج .
(٢) يريد أنهم قلة تكفيهم جزور واحدة لطعامهم .
(٣) الخفرة : الذمة والعهد .
(٤) اكتشف ، أى أشرف على مرتفع حتى بان للناس وظهر .
(٥) حقب : فسد .
(٦) استوسقوا : اجتمعوا .
(٧) الاعتجار : لف العمامة على الرأس .
(٨) أطن : قطع .

حتى أقتحم فيه يريد أن يُبِرَّ يَمِينَه ، وأتبعه حمزةُ فضربه حتى قتله فى الحوض . ثم خَرج بعده عُتبة بن رَبيعة بين أخيه شَيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عُتبة ، حتى إذا فَصَل من الصفّ دعا إلى المُبارزة ، فَخرج إليه فِتيةٌ من الأنصار ثلاثة نفر ، منهم : عَوف ومُعوِّذ ، أبنا الحارث ـ وأُمهما عَفْراء ـ ورجلٌ آخر يقال له : عبد الله ابنَ رَواحة . فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : رَهط من الأنصار . قالوا : ما لنا بكم من حاجة . ثم نادى مُناديهم : يامحمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : قُم يا حمزة بن عبد المُطلب ، قُم يا عُبيدة بن الحارث ، قُم يا علىّ ابن أبى طالب . فلما قاموا ودَنَوْا منهم قالوا : من أنتم ؟ قال عُبيدة : عُبيدة . وقال حمزة : حمزة . وقال علىّ : علىّ . فقالوا : نعم ، أكفاء كِرام . فبارز عُبيدة — وكان أسَنَّ القوم — عُتبةَ بن ربيعة ، وبارز حمزةُ شيبةَ بن ربيعة ، وبارز علىٌّ الوليدَ بن عُتْبة . فأمّا حمزة فلم يُمهل شَيبَة أن قَتله . وأمّا علىٌّ فلم يُمهل الوليدَ أنْ قَتله . واختلف عُبيدة وعُتبة بينهما بضَربتين ، كلاهما أثبت[1] صاحبَه ، فكرَّ علىٌّ وحمزةُ بأسيافهما على عُتبة فقتلاه ، واحتملا صاحبَهما عُبيدة ، فجاءا به إلى أصحابه ، وقد قُطعت رِجلُه فمُخُّها يَسِيل . فلما أتَوْا بعُبيدة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : لستُ شهيداً يا رسول الله ؟ قال : بلى . فقال أبو عُبيدة : لو كان أبو طالب حيًّا لعَلِم أنى أحقُّ بما قال منه حيث يقول :

ونُسْلِمه حتى نُصرَّع حولَه ونَذْهَل عن أبنائنا والحلائِل

ثم تزاحف الناسُ ودنا بعضُهم من بعض ، وأمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ألّا يَحْملوا حتى يأمرَهم ، وقال : إن اكتنفكم القومُ فانْضَحوهم عنكم بالنَّبل . ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العَريش ، ومعه أبو بكر الصدِّيق رضى الله عنه ، وقد استقبل القِبلةَ يدعو ويقول : اللّهم إنْ تَهْلِك هذه العصابة من أهل الإسلام

(١) أثبت صاحبه : أثخنه بالجراح .

لا تُعْبَـد فى الأرض . فلم يزل كذلك حتى سَقَط رداؤُه . فأخذ أبو بكر فوضع رداءه عليه ثم قال له : كفاك يا نبيَّ الله ! بأبى أنت وأُمى ! بعضَ مُناشدتك لربّك ، فإنه سيُنْجِز ماوعدك . فأنزل الله سُبحانه وتعالى : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) . وخَفق رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم خَفْقة وهو فى العريش ثم أنتبه فقال : يا أبا بكر ، أتاك نَصرُ الله ، هذا جبريلُ آخذٌ بعنان فَرَسِه يقودُه وعلى ثَناياه النَّقْع[1] . ثم خَرج رسُول الله صلى الله عليه وسلم إلى النَّاس فحرَّضهم ، ونَفَّل كُلَّ امرىء منهم ما أصاب ، وقال : والذى نَفْسُ محمد بيده لا يُقاتلهم اليومَ رجلٌ فيُقْتَلَ صابراً مُحْتسِباً مُقْبلاً غيرَ مُدبر إلّا أدخله الله الجنة . فقال عُمير بن الحُمام ، أخو بنى سَلَمة ، وفى يده تمراتٌ يأكلها : بَخٍ بَخٍ ! أمَا بينى و بين أن أدخلَ الجنّة إلّا أن يَقْتُلنى هؤلاء . ثم قَذف التَّمراتِ من يده وأخذ سيفَه فقاتل القومَ حتى قُتل ، وهو يقول :

رَكْضاً إلى الله بغـير زادِ إلا التُّقَى وعَمَل المَعَـادِ
والصَّبْرَ فى الله على الجِهادِ وكلُّ زادٍ عُرضـةُ النَّفادِ

وقال عوفُ بن الحارث ، وهو ابن عَفْراء : يا رسولَ الله ، ما يُضْحِك الربَّ من عَبده ؟ قال : غَمْسُه يدَه فى العدوِّ حاسراً . فنَزع دِرْعاً كانت عليه فقذَفها ثم أخذ سيفَه فقاتل حتى قُتل .

ولما التَقى الناسُ ودنا بعضُهم من بعض ، قال أبو جهل : اللهم أَقطعُنا للرَّحم وآتانا بما لا يُعْرف فأَحِنْه الغَداة . فنزل قولُه تعالى : (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ) الآية .

ثم إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أخذ حَفنةً من الحَصْباء فاستَقْبل بها

(١) النقع : الغبار .

قُريشاً ثم قال : شاهتِ الوُجوه ! ثم نَفحهم بها . فنزل قولُه تعالى : (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ اللهَ رَمَى) . ثم قال لأصحابه : شُـدُّوا . فكانت الهزيمةُ . فقَتَل اللهُ مَن قتل من صناديد قُريش ، وأَسر مَن أَسر منهم . فلما وَضع القومُ أيديَهم يَأسِرون ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى العَريش ، وسعدُ بن مُعاذ متوشِّح السَّيفَ فى نَفر من الأَنصار يحرُسون رسول الله صلى الله عليه وسلم يخافُون عليه كرَّة العدوّ ، رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى وجه سَـعد بن مُعاذ الـكراهيةَ لما يَصنع ، فقال : كأنّك كرهتَ ما يُصنع بالمُشركين ؟ قال : نعم يا رسُولَ الله ، وكان الإثْخانُ فى القَتل أعجبَ إلىّ من اُسْتبقاء الرِّجال .

وقاتلت الملائكةُ يومَ بَدْر . فحَكى رجلٌ من بَنى غِفار قال : أقبلتُ أنا وابنُ عمٍّ لى حتى أَصعدنا فى جَبل يُشرف بنا على بَدر ، ونحن مُشركان نَنتظر الوقعةَ على من تكون الدَّبرة [1] فنَنْهب مع من ينهب . فبينا نحن فى الجبل إذ دَنت منّا سحابةٌ فسمعنا فيها حَمْحمة الخيل ، فسمعتُ قائلاً يقول : أَقْدم حَيْزوم [2] ! فأمّا ابنُ عمّى فانكشف قِناع قَلْبه فمات مكانه ، وأمّا أنا فكِدْتُ أَهْلك ، فتماسكتُ .

وقال رجلٌ من مازن ، وكان شَهِد بدراً : إنِّي لأَتبع رجلاً من المُشركين يوم بَدر لأَضْربَه ، إذ وقع رأسُه من قبل أن يَصل إليه سيفى ، فعلمتُ أنه قد قَتله غيرى .

وقال ابنُ عبّاس : كانت سِيما المَلائكة يومَ بدر عمائم بيضاً وقد أَرسلوها على ظُهورهم ، ويومَ حُنَين عمائم حُمْراً . ولم تُقاتل الملائكة فى يوم من الأيّام سوى يوم بَدْر ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيّام عدداً ومَدداً لا يَضْربون .

(١) الدبرة : العاقبة .

(٢) حيزوم : اسم فرس جبريل .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم لا يُعجزنَّك — يَعنى أبا جهل — فكان أولَ مَن لَقيه مُعاذُ بن عمرو بن الجموح . قال مُعاذ : فسمعتُ القوم ، وأبو جَهل فى مثل الحَرَجة ، وهم يقولون : أبو الحكم لا يُخْلَص إليه ! فلما سمعتُها جعلتُها من شأنى ، فعَمدتُ نحوَه . فلما أمكننى حملتُ عليه ، فضربتُه ضربةً أطنَّت[1] قَدمه بنصف ساقه . فوالله ما شبّهتُها حين طاحتْ إلّا كالنواة تَطِيح من تحت مِرْضخة[2] النَّوى حين يُضرب بها . قال : وضَرب ابنُه عكرمةُ على عاتقى فطَرح يدى فتعلّقتْ بجلدة من جَنبى . وأَجهضنى القِتالُ عنها . ولقد قاتلتُ عامةَ يومى وإنِّى لأَسحبها خَلفى ، فلما آذتْنى جعلتُ عليها رِجلى ثم تمطيتُ بها حتى طرحتُها . ثم عاش مُعاذ بعد ذلك حتى مات فى خلافة عُثمان رضى الله عنه .

ثم مَرّ بأبى جهل ، وهو عَقير[3] ، مُعوِّذ بن عَفراء فضَربه حتى أَثْبته ، وتركه وبه رمَق . وقاتل مُعوِّذ حتى قُتل . ومَرّ عبدُ الله بن مسعود رضى الله عنه بأبى جَهل ، وقد أَمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُلتمس فى القَتْلى وقال : انظُروا إن خَفى عليكم فى القتْلى إلى أثر جُرح بِرُكْبته ، فإنى ازدحمتُ أنا وهو يوماً على مأدبةٍ لعبد الله بن جُدْعان ، ونحن غُلامان ، وكنتُ أشبَّ منه بيَسير ، فدفعتُه فوقَع على رُكبته فَجُحش[4] فى إحداهما جَحْشاً لم يَزل به أثرُه فيها بعدُ . فقال عبدُ الله بن مَسعود : فوجدتُه بآخِر رَمَقٍ فعرفتُه ، فوضعت رجلى على عُنقه ، وقد كان ضَبَث[5] بى مرةً بمكة ولَكَزنى ، ثم قلتُ : هل أخْزاك الله يا عدوَّ الله ؟ قال : وبماذا أخزانى ! أعْمدُ[6] من رجلٍ قتلتموه ! لمن الدَّبرةُ ؟ قلت : لله ولرسوله .

---

(١) أطنت : قطعت . (٢) المرضخة : حجر يرضخ به النوى . (٣) العقير : الجريح .

(٤) جحش : خدش . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « خدش » ... خدشا .

(٥) ضبث بالشىء : قبض عليه بكفه .

(٦) أعمد : أعجب . يريد : هل زاد على سيد قتله قومه ! وهل كان إلا هذا ! أى إن هذا ليس بعار .

وقيل : إنه قال له أبو جهل : رُوَيعى غَنم ! لقد أرتقيتَ مُرتقًى صَعْبا . ثم قال : احتززتُ رأسه ثم جئتُ به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت : يا رسول الله ، هذا رأس عدوِّ الله أبى جَهل . فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أُلله الذى لا إله غيرُه ! وكانت هذه يمينَ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلتُ : نعم ، والله الذى لا إله غيره . ثم ألقيتُ رأسَه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فحمد الله جَلّ وعزّ .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه يومئذٍ : إنى عرفتُ أن رجالاً من بنى هاشم قد أُخرجوا كَرْهًا لا حاجةَ لهم بقتالنا ، فمن لَقى منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله ، ومن لقى العبّاس بن عبد المُطّلب فلا يقتُلْه ، فإنه إنما أُخرج مُستكرهاً . فقال أبو حُذيفة بن عُتْبة بن رَبيعة : آنقتل أباءنا و إخواننا وعَشيرتَنا ونترك العبّاس ! أمَا والله لئن لقيتُه لأُلجمنّه السيفَ . فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يقول لعُمر بن الخطّاب رضى الله عنه : يا أبا حَفْص ، أما تَسمع إلى قول أبى حُذيفة : أضربُ وَجه عمّ رسول الله ! فقال عُمر : يا رسول الله ، دَعْني فَلأضرب عُنقه بالسَّيف ، فوالله لقد نافَق . قال عمر : فوالله إنّه لأول يوم كَنّانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى حَفص . وكان أبو حُذيفة رضى الله عنه يقول : ما أنا بآمن من تلك الكلمة التى قلتُ يومئذٍ ، ولا أزال خائفاً إلى أن يكفِّرها الله عنّى . فقُتل يومَ اليمامة شَهيداً فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه . ونَهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قَتل أبى البَخْتريّ . وإنما نَهى عن قتله لأنه كان أكفَّ الناس عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، وكان لا يُؤذيه ولا يَبلغه عنه شىء يكرهه . وهو الذى قام فى نَقض الصَّحيفة التى كَتبت قُريشٌ على بنى هاشم و بَنى المُطلب . فلقيه المُجذَّر بن ذِياد ، فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نَهى عن قتلك — ومع أبى البَخترىّ زميلٌ له خَرج من مكة —

قال : وزَميلى ؟ فقال المُجذَّر : لا والله ، ما نحن بتَاركى زميلكَ ، ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلّا بك وحدَك . قال : إذن والله لأموتنّ أنا وهو جميعاً ، لا تحدَّثتْ عنّى نساء قُريش وأهلُ[1] مكة أنى تركتُ زَميلى حِرْصاً على الحياة ! وقال أبو البَختريّ حين نَازله المُجذَّر وأبىَ إلّا القتالَ ، وهو يرتجز :

لَن يُسْلِمَ ابنُ حُرَّة زَميلَه حتى يموتَ أو يَرى سَبِيلَه

فاقتتلا . فقَتله المُجذَّر بن ذياد . ثم أتى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : والذى بَعثك بالحق يا رسول الله ، لقد جَهِدتُ عليه أن يَستأسر ، فأَبى إلّا القتال ، فقاتلتُه فقتلتُه .

وكان أُميــة بن خَلف الجَهْميّ يُعذِّب بلالاً بمكة على أن يتركَ الإسلامَ ، فيُخْرجه إلى رَمضاء مكة إذا حَميت فيُضْجِعه ، ثم يأمر بالصَّخرة العَظيمة فتُجعل على صَدره ، فيقول : لا تزالُ هكذا حتى تُفارق دينَ محمد . فيقول بلال : أَحد ! أَحد !

فحَكى عبــدُ الرَّحمن بن عَوف رضى الله عنه قال : كان أُميــة بن خَلف صديقاً لى بمكة ، وكان اسمى عبد عَمرو . فلما أسلمتُ سُمِّيت : عبد الرحمن . فكان يَلقانى ونحن بمكة فيقول : ياعبد عمرو ، أَرغبتَ عن اسم سمّاك به أبوك ؟ فأقول : نعم . فيقول : إنى لا أعرف عبــد الرحمن ، اُجْعل بينى و بينك شيئاً أدعوك به . أمَّا أنت فإنك لاتُجيبنى باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك إلا بما أعرف . وكان إذا دعانى : عبد عمرو ، لا أُجيبه . فقلتُ : اُجْعل بينى و بينك يا أبا علىّ ماشئتَ . قال : فأنت عبدُ الإله . قلتُ : نعم . فكنتُ إذا مررتُ به قال : يا عبد الإله . فأُجيبه فأتحدَّث معه . حتى إذا كان يوم بَدْر مررتُ به ، وهو واقفٌ مع اُبنه علىّ بن أُمية آخذ بيــده ، ومعى أَدْراع قد اُسْتلبتُها وأنا أَحملها ، فلما رآنى قال : يا عبد عمرو ،

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بين أهل » مكان « وأهل » .

فلم أُجبه . فقال لى ، وأنا بينه و بين ابنه آخذ بأيديهما : يا عبد الإله ، مَن الرجلُ المُعلَم بريش النَّعامة فى صدره ؟ قال : قلت : ذاك حَمزةُ بن عبد المطلب . قال : الذى فَعل بنا الأَفاعيل ! قال : فوالله إنى لأقودهما إذ رآه بلالٌ معى، فقال بلال ، حين رآه : رأس الكُفر أُميـة بن خَلف ! لا نجوتُ إن نَجا ! فقلتُ : يا بلال ، أبأسيرى ؟ قال : لا نجوتُ إن نجا ! قلتُ : أبأسيرى تُسمِّع يا بن السَّوداء ! قال : لا نجوتُ إن نجا . ثم صاح بأعلى صوته : رأسُ الكُفر أُمية بن خَلف ! لا نجوتُ إن نجا ! قال : فأحاطوا بنا، وأنا أَذُبُّ عنه ، فضَرب رجلٌ ابنَه فوقع . وصاح أُمية صيحةً ما سمعتُ مثلها قطُّ . فقلت : انْجُ بنَفسك ولا نَجاء ! فوالله ما أُغْنى عنك شيئا. فهَبَروهما بأسيافهم حتى فَرغوا منهما . فكان عبدُ الرحمن يقول : رحم الله بلالاً ، ذَهب بأدراعى وفَجعنى بأسيرى !

ثم أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بطَرح القَتْلى فى قَليب هُناك ، فطُرحوا فيه ، إلّا ما كان من أُميـة بن خَلف فإنّه انْتَفخ فى دِرْعه حتى ملأَها ، فذهَبوا ليَجُرُّوه ، فتزَايل ، فأَلقوا عليه ما غيَّبه من التُّراب والحجارة .

ولما أَمر بهم النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم أن يُلقوا فى القَليب أُخذ عُتبة بن رَبيعة فسُحب إلى القَليب . فنَظر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى وجه أبى حُذيفة بن عُتبة ، فإذا هو كَئيب قد تغيّر . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لعلّك دخَلك مِن حال أَبيك شىء ؟ قال : فقلت : لا والله يا رسولَ الله ، ماشككتُ فى حال أبى ولا مَصْرعه ، ولـكنى كنتُ أعرف له رأياً وفضلاً وحِلْماً ، فكنتُ أرجو أن يَهديه الله بذلك إلى الإسلام، فلما رأيتُ ما أَصابه ، وذكرتُ ما صار إليه من الـكُفر بعد الذى كُنت أرجو ، أَحزننى ذلك . فدعا رسولُ الله صلّى الله عليـه وسلم له بخير وقال له خيراً . فلما أُلقوا فى القَليب وَقف رسولُ الله صلى الله عليـه وقال : يأهل القليب ، هل وجدتُم ما وَعد ربُّـكم حقًّا ، فإنى وجدتُ ما وَعـدنى ربى

حقًّا ؟ فقال له أصحابُه : يا رسول الله ، أتُكلم قوماً موتَى ؟ قال : لقد علموا أنّ ما وَعدهم ربُّهم حقًّا .

وفى رواية : أنه قال صلّى الله عليه وسلّم : ما أنتم بأَسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يَستطيعون أن يُجيبونى .

وجمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأَسارى ، فكانوا أَربعةً وأَربعين ، وكان من القتلى مثلُ ذلك . وكان فى الأَسارى عُقبةُ بن أبى مُعَيط ، والنَّضر بن الحارث ، فضُربت أعناقهما بين يَدَيْه صَبْراً . وقد تقدَّم ذكر ذلك فى أَخبار أبى قَطيفة .

وكان فى الأَسارى العبّاس بن عبد المُطلب رضى الله عنه . فرَوى ابنُ عبّاس قال : لما أمسى القومُ من يوم بَدر ، والأَسارى محبوسون فى الوَثاق ، بات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ساهراً أولَ ليلة . فقال له أصحابُه : يا رسول الله ، مالك لا تَنام ؟ فقال : سمعتُ تَضوُّر العبّاس فى وثاقه . فقاموا إلى العباس فأطلقوه . فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمّه العباس ، حين أُنتُهى به إلى المدينة : أَفْد نَفْسك وابنى أخيك : عَقيل بن أبى طالب ، ونَوفل بن الحارث ، وحليفَك عُتْبة بن عمرو بن جَحدم ، فإنك ذو مال . فقال : يا رسول الله ، إنى كنتُ مُسلماً ، ولكن القوم أُستكرهونى . قال : الله أعلم بإسلامك ، إن يكن ما تقول حقًّا فالله يَجْزيك به ، فأما ظاهر أَمرك فقد كان علينا ، فأَفْد نفْسك .

وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قد أخذ منه عشرين أُوقية من ذَهب . فقال العبَّاس : يا رسول الله ، أُحسُبْها لى فى فدائى . قال : ذاك شىء أعطاناه الله منك . قال : فإنه ليس لى مال . قال : فأين المال الذى وضعتَه بمكة حين خرجتَ

من عنـد أُم الفضل بنت الحارث ليس معكما أحد ؟ ثم قلتَ لهـا : إن أُصبتُ فى سفرى هذا فللفضل كذا ، ولعبد الله كذا ، ولقثُم كذا ، ولعُبيد الله كذا . قال : والذى بعثك بالحق ما عَلِم بهذا أحدٌ غيرى وغيرها ، وإنّى لأَعلم أنك رسولُ الله . ففدا نفسَه وابنى أخيه وحليفَه .

وقيل :

أول من قَدم مكة بمُصاب قريش الحَيْسُمان بن عبد الله الخُزاعىّ ، فقالوا : ما وراءك ؟ فقال : قُتل عُتبة ، وشيبة ، وأبو الحكم ، وأُمية بن خلف ، وفلان . وجَعل يعدّد أَشراف قُريش . فقال صَفوان بن أُمية ، وهو قاعدٌ فى الحِجْر : والله إن يَعقل هـذا فَسلوه عنّى . فقالوا : ما فَعل صَفوان بن أُميـة ؟ قال : هو ذا جالسٌ فى الحِجر ، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتلا .

وحدث أبو رافع مولى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم قال :

كنت غلاماً للعبّاس بن عبد المُطلب ، وكان الإسلامُ قد دَخَلنا أهلَ البيت ، وأسلمتْ أُمُّ الفضل . وكان العبّاس يَهاب قومَه ويكره أن يُخالفَهم ، وكان يكتُم إسلامه ، وكان ذا مالٍ كثيرٍ متفرِّق فى قومه . وكان أبو لهب عدوُّ الله قد تخلَّف عن بَدر وبَعث مكانَه العـاص بن هشام بن المغيرة . وكذلك صـنعوا لم يتخلف رجل إلا بعث . فلما جاء الخبر عن مصاب بدر من قريش ، كبتـه الله فأخزاه ، ووجدْنا فى أنفسنا قُوة ومَنعة وعِزة ، وكنت رجلاً ضعيفاً أعمل القِداح وأَنْحتها فى حُجرة زَمزم . فوالله إنّى لجالسٌ فيها أَنْحت القِداح ، وعندى أُم الفَضل جالسةٌ ، وقد سرَّنا ماجاءنا من الخبر ، إذ أَقبل الفاسقُ أبو لهب يَجُرّ رِجْليه بشرّ[1] ، حتى جَلس على طنُب الحُجرة ، وكان ظهره إلى ظهرى . فبينا هو جالسٌ إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المُطلب قد قَدم . فقال له أبو لهب : هلم إلىّ يا بن أخى ، فعندك الخبر . قال : فجلس والناسُ قيامٌ عليه : فقال ، يابن أخى ، أخبرنى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « يسير » مكان « بشر » .

كيف كان الناسُ ؟ قال : لا شىء والله ، إن هو إلا لَقيناهم فَمَنحناهم أكتافنا يقتلون ويأسرون كيف شاءوا . وأيمُ الله ما لُمتُ الناس ، لقينا رجالاً بيضاً على خَيل بُلْقٍ بين السَّماء والأرض ما تُليق شيئاً[1] ولا يقوم لها شىء . قال أبو رافع : فرفعتُ طُنُب الحجرة بيدى ، وقلتُ : تلك الملائكةُ . فَرفع أبو لهب يَده فضَرب وَجهى ضربةً شديدةً . فساورتُه ، فأحتملنى فضَرب بى الأرض وبَرك علىّ يَضربنى ، وكنتُ رجلاً ضعيفاً . فقامت أُم الفَضلِ إلى عَمود من عُمُد الحُجرة فضَربتْه به ضربةً فلقتْ رأسه شجَّة مُنكرة ، وقالت : تَستضعفه أنْ غاب سيده ! فقام مولِّياً ذَليلا . فوالله ما عاش بعدها إلّا سَبع ليالٍ حتى رماه الله[2] بالعَدَسة فقَتلتْه . فلقد تركه أبناه ليلتَين أو ثلاثاً لم يَدْفناه حتى أنْتن فى بيته — وكانت قُريش تتَّقى العدسة كما يتَّقى الناسُ الطاعون — حتى قال لهما رجلٌ من قُريش : ويحكما ! لا تَستحييان أن أبا كما قد أنتن فى بيته لاتُغيِّبانه ! قالا : نَخشى هذه القَرحة . قال : فأنطلِقا وأنا معكما ، فما غسّلوه إلا قَذْفاً بالماء عليه من بَعيد ، ما يمسُّونه . ثم أحتملوه يَدْفنونه بأعلى مكة على جِدار . وقذفوا عليه الحجارةَ حتى وارَوْه .

وروت عائشةُ رضى الله عنها قالت :

لمّا بعث أهلُ مكة فى فداء أسراهم ، بعثت زينبُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء زوجها أبى العاص بن الرَّبيع بقِلادة لها . وكانت خديجةُ رضى الله عنها أدخلتها بها على أبى العاص حين تبنَّى بها . فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رَقَّ لها رِقَّةً شديدة وقال : إن رأيتم أن تُطْلقوا لها أسيرها وتردُّوا عليها الذى لها فأفعلوا . فقالوا : نعم يا رسول الله . فأطلقوه وردُّوا عليها الذى لها . ولما أنقضت نَوبة بدر ناحت قُريش على قَتلاها ثم قالوا : لا تفعلوا

(١) ما تليق شيئاً ، أى ما تبقى على شىء .

(٢) العدسة : بثرة قاتلة تخرج فى البدن .

فيبلُغ محمداً وأصحابه فَيشْمتوها[١] . وكان الأسود بن عبد المُطلب[٢] قد أُصيب له ثلاثة من ولده : زَمعة ، وعَقيل ، والحارث . وكان يُحب أن يبكى على بَنيه . فبينا هو كذلك إذ سَمع نائحةً من اللَّيل ، فقال لغلام له وقد ذهب بصره : انظُر هل أُحل النَّحيب وهل بكتْ قُريش على قتلاها ، فلعلِّى أبكى على أبى حَكيمة — يعنى زَمعه — فإنّ جَوفى قد احترق ! فلما رجع إليه الغلام قال : إنما هى أمرأةٌ تبكى على بعيرٍ لها أضلَّته ، فذلك حين يقول الأسود :

أَتبكى أنْ يَضِلَّ لها بعيرٌ ... ويَمنعها من النَّوم[٣] السُّهودُ
ولا تَبكى على بَكْرٍ ولكنْ ... على بَدْرٍ تقاصرت[٤] الجُدود
ألا قد ساد بعدَهمُ رجالٌ ... ولولا يومُ بدرٍ لم يسودُوا

وقالت هِند بنت عُتبة :

مَن حَسَّ لى الأَخوَيْن كالْـ ... ـغُصْنين أم مَن راهُمَا
قَرْمان لا يتَظالمانِ ... ولا يُرام حِماهما
وَيْلِى على أبوىّ والْـ ... ـقَبر الذى وَاراهما
لا مِثْل كَهْلى فى الكُهو ... لِ ولا فَتَى كفَتاهما
أَسَدان لا يتذلّلا ... نِ ولا يُرامُ حِماهما
رُمحَيْن خَطِّيين فى ... كَبِد السَّماء تراهما
ما خَلَّفا إذ وَدَّعا ... فى سُودَدٍ[٥] شَرْوَاهما
سادَا بغَير تكلُّفٍ ... عفواً يَفِيض نَداهما

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فيشمتوا بكم » .
(٢) فى الأصول : « الأسود بن عبديغوث » . والتصويب من السيرة والحماسة والاشتقاق .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « ويمنعها البكاء من الهجود » .
(٤) البكر : الفتى من الإبل . وتقاصرت الجدود : أى تواضعت الحظوظ . يستهين فقد المال ويستعظم فقد النفوس . (٥) شرواهما : مثلهما .

هند والخنساء

وقيل : بلغ هنداً بنت عُتبة تَسْويمُ[1] الخنساء هَوْدجها فى الموسم، ومُعاظمتُها للعرب بمُصيبتها بأبيها عمرو بن الشَّريد ، وأخويها : صَخر ومُعاوية ، وأنها جعلت تَشهد الموسمَ وتَبكيهم، وأنها سوَّمت هَودجها براية ، وأنّها تقول : أنا أعظم العرب مُصيبةً ، وأن العرب قد عرفت لها بعضَ ذلك . فلما أُصيبت هِنْد بما أُصيبت به ، وهو قتل أبيها عُتبة ، وعمّها شيبة ، وأخيها الوليد ، وولدها حَنْظلة بن أبى سفيان ، يومَ بدر ، قالت : أنا أعظم من الخَنساء مُصيبةً ، وأمرت بهَوْدجها فَسوِّمتْه براية وشهدتْ الموسم بعُكاظ ، وكانت سُوقاً يَجتمع فيها العرب ، فقالت : أَقْرِنوا جَملى بجمل الخَنساء . ففعلوا . فلما دنت منها قالت لها الخَنساء : يا اخيّة ، من أنت ؟ قالت : أنا هند بنت عُتبة أعظم العرب مُصيبة ، وقد بَلغنى أنك تُعاظمين العرب بمُصيبتك ، فبم تُعاظمينهم ؟ قالت الخنساء : بأبى عمرو بن الشَّريد ، وأخوىّ : صَخر ، ومُعاوية ، وأبنى عمرو ، فبم تُعاظمينهم أنت ؟ قالت : بأبى عُتبة ، وعمّى شَيبة ، وأخى الوليد . قالت الخنساء : أو سواءٌ هم عندك ؟ ثم أنشأت تقول :

أبكّى أبى عمراً بعَينٍ غزيرةٍ ... قليل إذا نام الخَلىُّ هُجودُها
وصِنْوَىَّ لا أنْسى مُعاوية الذى ... له من سَراة الحَرَّتَيْن[2] وُفودها
وصَخراً ومَن ذا مِثْلُ صَخرٍ إذا غَدا ... بَسَلْهبة الآطال قَبَّا[3] يَقُودها
فذلك يا هنـدُ الرزيّةُ فاعلمى ... ونيرانُ حَرب حين شَبّ وَقُودها

فقالت هِند تُجيبها :

أُبكّى عَميد الأَبْطَحَيْن[4] كِلَيهما ... وحامِيهما من كُل باغٍ يُريدُها
أَبى عُتْبة الخيراتِ ويحكِ فاعْلمى ... وشيبةُ والحامِى الذِّمار وليدها (*)

(١) التسويم : أن تجعل لشىء سومة ، أى علامة يعرف بها ويتميز .

(٢) الحرتان : هما حرة بنى سليم وحرة بنى هلال ، بالحجاز . والحرة : الأرض ذات الحجارة السود .

(٣) السلهبة : الطويلة من الخيل . والآطال : جمع أطل ، وهو الخاصرة . وقباء ، بالمد وقصرها للشعر : دقيقة ضامرة .

(٤) العميد : السيد : والأبطحان : بطحاء مكة وسهل تهامة . والأبطح : المسيل الواسع .

(*) ذكر أبو الفرج بعد هذا شيئاً عن نسب « علس ذى جدن » ثم عاد فترجم لطويس . وقد مرت ترجمته فى الجزء الأول .